مسلم
بن عقيل

دراسة تحليلة

مسلم بن عقيل
دراسة تحليلة

تأليف

الشيخ د. ابراهيم بدوي



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، أما بعد ...

المقدمة

فقد ارتبط اسم مسلم بن عقيل بنهضة الامام الحسين عليه السلام ارتباطاً وثيقاً ، بحيث قلما تذكر تفاصيل تلك النهضة الا ويذكر معها هذا الاسم اللامع والمؤثر في العقل والوجدان .

وقد وجد الكثيرون من المهتمين ضرورةً في أن يكتبوا عن حياة هذا الرجل ، إما مقالاتٍ أو كتباً خاصة به ، فضلاً عن إيراد الكثير من الروايات المتناثرة في بطون كتب التاريخ تتحدث عنه وعن فضائله ومواقفه وحياته وشهادته .

المشكلة التي يواجهها الباحث في موضوع مسلم بن عقيل هي أنه يرى الكثير من الاختلافات بل التناقضات بين هذه الروايات ، بحيث يصعب عليه تمييز الصحيح منها من السقيم، فتختلط عليه الأمور، وينقسم المحللون لها بين مؤيد له وناقد . وكل منهم يستشهد بنصوص تاريخية تخدم فكرته ليخلص الى النتيجة التي قررها وبنى موقفه على اساسها .

ولا نغرب إن قلنا : إن سيرة مسلم بن عقيل شكلت أرضية خصبة لمن أراد أن يسيء الى سمعة النهضة الحسينية، وذلك من خلال إيراد المطاعن على شخصية مسلم ومواقفه وأقواله، فيورد الروايات الطاعنة فيه، ويثير غبار التشكيك على الروايات المدافعة عنه، ما يجعل حقيقة الأمر غامضةً ومشوشةً في الكثير من الأذهان .

فإذا أضفنا الى اختلاف الروايات أن العباسيين عملوا اقصى جهدهم للحط من قدر العلويين ، طمعا في نيل مقامهم اكثر مما فعله بنو أمية ، فراحوا يكثرون من الطعن عليهم وتسويد تاريخهم ، نعلم أن ما ورد في مسلم بن عقيل ، كنموذج ، هو تزوير للتاريخ متعمد وممنهج ، يهدف الى التشكيك بالحسين واخيه وابيه ، ظنا منهم أن ذلك يقوي سلطانهم ، ويعطيهم الشرعية الدينية التي يطلبونها ، فقد قامت دولتهم على شعار «الرضا من آل محمد» ، وأرادوا أن يثبتوا للناس أنهم هم المقصودون بأهل البيت ، وهم أهل الدين والسياسة وليس غيرهم .

لاحظ معي ماذا قال ابو العباس السفاح (١٣٦هـ) حينما بويع بالخلافة :

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله ... ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القران « **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » ... فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم ... وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم بم ولم أيها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ...[١].

ومن المعلوم أن كتب التاريخ التي بين ايدينا ، وابرزها الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٨ -٢٣٠ هـ) وأنساب الاشراف للبلاذري (٢٧٩ هـ) وتاريخ الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) ومقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ) ، وضعت في بدايات الدولة العباسية (١٣٢ ـ ٩٢٢ هـ)، والتاريخ

١ـ راجع : صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب ، ج٣ ، ص٧ .

يكتبه الحكام والملوك لا الثوار والمعارضون ، وعليه فما يوجد في هذه الكتب من طعن بالعلويين مشبوه ما لم يكن على خلاف مصلحة الحاكم .

من هذا المنطلق رأيت ، وبكل تجرد ، أنه لا بد من إخضاع المرويات التي تحدثت عن مسلم بن عقيل الى التمحيص الدقيق والتحليل العلمي للخروج بنتيجة يمكن الركون اليها حتى وإن كانت على خلاف الروايات المشهورة ، وفي الوقت عينه تقطع مادة النزاع بالدليل والحجة وتتبع القرائن ، فكانت هذه الدراسة التحليلية المختصرة .

وأما المصادر التي تم الاعتماد عليها فهي المصادر التاريخية المعروفة التي اعتمد عليها كل من تحدث حول هذا الموضوع . مع فارق أساسي وحيد ، وهو تعريض مضامينها للنقد والتمحيص ، فما كان منها معقولاً ومؤيداً بالقرائن تم اعتماده، وأما ما كان على خلاف ذلك فقد تم رفضه بقطع النظر عن سند الرواية أو شهرتها .

وفي هذا البحث سيتم عرض الحقائق في اثني عشر فصلاً .

أبوا مسلم بن عقيل

أبوه هو عقيل بن أبي طالب ابن عم رسول اللّه محمد ، صلى اللّه عليه وآله، والأخ الشقيق لأمير المؤمنين الإمام علي (ع). ويكنى بأبي يزيد أكبر ولده . وهو جليل القدر ومن أصحاب النبي (ص) وأصحاب علي (ع). [1]

كان عقيل أكبر من الإمام علي بعشرين سنة.[2] أسلم عام ٢ للهجرة بعدما أسر في معركة بدر، وكان قد أخرج مع المشركين فيمن أخرج من بني هاشم كرهاً .[3] وفداه عمه العباس بماله. وسميا من الطلقاء، لأن رسول اللّه (ص) أطلقهما.

١ـ ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ج١١ ، ص٢٥٠ ، ومعجم رجال الحديث .السيد الخوئي ج١٢ ص١٧٤. وهناك قول آخر أنه كان اكبر منه ب١٣ سنة فقط . كما في أنساب الأشراف ، ج٢ ، ص٤٠ ، او ١٢ سنة كما في مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٥٠ .

٢ـ راجع خصال الصدوق ، باب الثلاثة ، الحديث ٢٤٧ .

٣ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٤٢ .

ثم رجع الى مكة بأمر من النبي (ص) ليقوم مع عمه العباس بما كان بنو هاشم يقومون به من أمر السقاية والرفادة والرئاسة بعدما قتل أبو لهب ، وبقي فيها الى أن هاجر الى المدينة سنة ثمان ، وشهد غزوة مؤتة ، ثم رجع فعرض له مرض فلم يسمع له بذكر في فتح مكة ولا الطائف ولا خيبر ولا في حنين ، وقد أطعمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) بخيبر مائة وأربعين وسقاً كل سنة.[1]

مات عقيل بن أبي طالب بعدما عمي في خلافة معاوية بن أبي سفيان عن عمر ٩٦ سنة .[2]

كان مؤمناً تقياً ورعاً ، ومعروفاً بالحكمة والشجاعة وعلم الأنساب.

والشجاعة صفة مشتركة بين جميع أولاد أبي طالب، وقد ورد عن رسول اللّه (ص) قوله: «للّه در أبي طالب ، لو ولد

١ـ المصدر السابق .

٢ـ ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ج١١ ، ص٢٥٠ . وفي كلام ابن ابي الحديد تهافت حيث نص على أنه أكبر من علي بعشرين سنة ، وأنه توفي سنة ٥٠ ، وهو لا يصح لأن عمره يكون حينئذ ٩٣ سنة . لأن عليا (ع) فتل سنة ٤٠ عن عمر ٦٣ سنة ، فلا بد من افتراض أنه توفي سنة ٥٣ .

الناس كلهم كانوا شجعاناً».[1]

وفي رواية القاضي النعمان المغربي:

ودخل علي، صلوات اللّه عليه، على أخته أم هاني بنت أبي طالب، فأصاب عندها رجلين ممن نذر رسول اللّه صلوات اللّه عليه وآله دمهما من بني مخزوم قد استجارا بها لصهر كان بينهما، فلما رآهما علي، صلوات اللّه عليه، أخذ سيفه وقام إليهما ليقتلهما، فقامت أم هاني دونهما، وقالت: يا أخي إني قد أجرتهما .

قال: إن رسول اللّه، صلوات اللّه عليه وآله، قد أمر بقتلهما، ولو كانا تحت أستار الكعبة .

فقبضت على يده - وكانت أيّدة[2] شديدة - فلوتها حتى انتزعت السيف من يده، فأمسكته، وأمرت بهما، فدخلا بيتاً وغلقت عليهما، ومضت إلى رسول اللّه، صلوات اللّه عليه وآله، فلما رآها رحب بها وسألها عن حالها . فأخبرته الخبر . فضحك،

١ـ الإربلي ، أبو الحسن بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص ٢٣٠ ، مطبعة النجف ١٣٨٥ هـ.

٢ـ أيدة : قوية . يقال رجل أيد اي قوي . راجع لسان العرب، ج٣ ، ص٧٦ .

وقال: قد أجرنا من أجرت يا أم هاني .

فأرسل إلى علي، صلوات الله عليه، فأتاه، فضحك إليه، وقال : غلبتك أم هاني ؟

فقال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً لا قدرت على أن أمسك السيف حتى خلصته من يدي ، فضحك رسول الله، وقال :

لو أن أبا طالب ولد الناس كلهم لكانوا أشداء أقوياء .[1]

ومما ورد في مدح عقيل ما قاله النبي (ص) في جواب علي(ع) حينما سأله :

انك لتحب عقيلاً ؟

قال (ص): إي والله، لأحبه حبين؛ حباً له وحباً لحب أبي طالب له . وإنَّ ولَده مقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون .

ثم بكى رسول الله (ص) حتى جرت دموعه على صدره، ثم

١ـ المغربي، القاضي النعمان، شرح الأخبار، تحقيق الجلالي، ط. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ج١، ص ٣٠٨ . وج٣، ص ٢١٧ .

قال: «إلى اللّه أشكو ما تلقى عترتي من بعدي».[1]

هناك رواية في الكافي عن الإمام الباقر (ع) استظهر منها بعضهم ذماً لعقيل، وطعناً في شجاعته.

روى الكليني ... عن سدير قال: كنا عند أبي جعفر (عليه السلام) فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيهم (صلى اللّه عليه وآله) واستذلالهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال رجل من القوم: أصلحك اللّه فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد ؟

فقال أبو جعفر (عليه السلام): ومن كان بقي من بني هاشم ؟ إنما كان جعفر وحمزة فمضيا ، وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالاسلام: عباس وعقيل ، وكانا من الطلقاء . أما واللّه لو أن حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلا إليه ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما.[2]

وقد أورد السيد الخوئي هذه الرواية في معجم رجال

١ـ الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ١٩١ . والمجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٨٧. ورواه ابن سعد في طبقاته مختصراً، ج٤، ص ٤٣ .

٢ـ الكليني، الكافي، ج ٨، ص١٩٠ .

الحديث، ووصفها بالصحيحة، وعلق عليها بقوله :

وملخص الكلام: أن العباس لم يثبت له مدح، ورواية الكافي الواردة في ذمه صحيحة السند، ويكفي هذا منقصة له، حيث لم يهتم بأمر علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولا بأمر الصديقة الطاهرة في قضية فدك، معشار ما اهتم به في أمر ميزابه .[1]

ومن الواضح أن فهم المنقصة من الرواية مشترك بين عباس وعقيل، فنسبة الضعف والذلة تكون لهما معاً .

أقول: لا كلام لنا في سند الرواية، وإنما في دلالتها . حيث يمكن لنا تسجيل الملاحظات التالية على الاستدلال بها على عدم شجاعة عقيل:

- **أولاً**: سياق الرواية سياق المقايسة بين عباس وعقيل من جهة وحمزة وجعفر من جهة ثانية، وأثبتت أنهما ضعيفان بالقياس إليهما، فيكون الضعف نسبياً، وهذا لا ضير فيه . إذ من

١ــ الخوئي، معجم رجال الحديث، ط.، ١٩٩٢، ج١٠، ص٢٥٥ . وقصة ميزاب العباس معروفة مذكورة في الكتب، وخلاصتها أن النبي (ص) سمح له بوضع ميزاب فوق بيته يطل على المسجد، فقام عمر بنزعه بعدما تولى الخلافة، فاستنجد العباس بعلي (ع) لرده، فرده له عنوة .

المسلم أن جعفر وحمزة قويان ، ولكنهما ضعيفان بالقياس الى الإمام علي بن أبي طالب (ع) . فلا يصح نسبة الضعف والذلة لهما بقول مطلق .

- **ثانياً**: وصف الله تعالى المسلمين المؤمنين المجاهدين بالضعف والذلة على الرغم من أنه من المسلم به أن المؤمنين في يوم بدر كانوا أشداء، وتمكنوا من غلبة المشركين رغم قلة العدد ، قال تعالى: «**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**».[1]

وقال في مورد آخر: «**الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ**».[2]

فمن يغلب عدوين ليس ضعيفاً بقول مطلق . نعم، هو ضعيف بالقياس لمن يغلب عشرة أعداء.

- **ثالثاً**: إن سر ضعف عباس وعقيل ليس نقصاً في الشجاعة الشخصية، وإنما لكونهما من الطلقاء. فالحمزة وجعفر كانا من السابقين في الإسلام، ولهما لأجل ذلك كلمة

١ـ سورة آل عمران، آية ١٢٣ .

٢ـ سورة الأنفال، آية ٦٦ .

مسموعة بين المسلمين، ورهبة في الصدور، ولا ينافسهما في ذلك فلان وفلان لأنهما لا يقلان عنهما شأناً وتضحية . أما عباس وعقيل فكانا حديثي عهد بالاسلام، فلم يكن لهما ذلك المقام الذي يسمح لهما بمنابذة المهاجرين الأوائل، ولعل هذا ما لمح له الإمام الباقر (ع) في الرواية.

- **رابعاً**: إن في قوله (ع):«ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما»، يعني لو كان عباس وعقيل في حضرة حمزة وجعفر لما قصرا في الدفاع عن حق علي (ع)، ونافحا عنه الى درجة اتلاف نفسيهما، لأنهما حينئذ يستندان الى ظهر قوي يسمح لهما بمواجهة المهاجرين السابقين. وهذا يدل على أنهما لا يعانيان من نقص ذاتي من حيث الشجاعة، وإنما يعانيان من نقص في الرصيد الجهادي والتضحوي .

وبملاحظة هذه الأمور التي ذكرناها يمكن الجمع بين الروايات المادحة لهما، ومنها الواصفة لعقيل بالخصوص بالشجاعة، وبين هذه الرواية .

ويؤيد ما تقدم من بيان ما جاء في الاحتجاج عن علي (ع) :

وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي،

وبقيت بين حفيرين قريبي العهد بجاهليةٍ، عقيل والعباس .[1]

وفي العقد النضيد للقمي :

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لو كان لي حمزة وجعفر حيّين ما سلّمت هذا الأمر أبداً ولا قَعَد أبو بكر على أعوادها، ولكنّي ابتليت بجلفين حافيين : عقيل والعباس.[2]

وفي البحار: بين خفيرتين، وفسرها بقوله: أي طليقين معاهدين أخذا في الحرب وحقن دمهما بالأمان والفداء، أو ناقضين للعهد، قال في القاموس: الخفير: المجار والمجير .[3]

ومنه نعرف أن هناك تصحيفاً في رواية الاحتجاج، أي ليس «حفيرين»، بل «خفيرين»، وكذلك في رواية العقد النضيد، لأن هذا هو الأنسب بقوله: قريبي العهد بجاهلية، وهو المناسب لكونهما من الطلقاء .

فلكونهما من الطلقاء، ولكونهما مجارين، ولعدم

١ـ الطبرسي، الاحتجاج ، ج١ ، ص٢٨١ .

٢ـ القمي محمد بن الحسن، العقد النضيد والدر الفريد، تحقيق الناطقي، دار الحديث للنشر، قم، ١٤٢٣هـ . ص ١٥٣ .

٣ـ بحار الأنوار، ج٢٩، ص٤٢٠ .

كونهما ذوي رصيد جهادي حيث لم يكونا من المسلمين الأوائل، ولا من المشاركين في المعارك الكبرى، كانا قاصري اليد عن مساعدة علي (ع) بالوقوف في وجه المهاجرين والأنصار. وأين هذا من نسبة الضعف والجبن لعقيل على الأقل، مع ما ورد من مشاركته في غزوة مؤتة ؟

أما أم مسلم بن عقيل فقد وقع الخلاف في اسمها ونسبها، وهل هي حرة عربية أم أعجمية أمٌّ ولد ؟

روى المدائني (٢٢٤) قال:

قال معاوية يوماً لعقيل بن أبي طالب : هل من حاجة فأقضيها لك ؟

قال: نعم، جارية عرضت علي، وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً .

فأحب معاوية أن يمازحه، قال: وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهماً ؟

قال: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك !

فضحك معاوية وقال: مازحناك يا أبا يزيد .

وأمر فابتيعت له الجارية التي أولد منها مسلماً رحمه الله، فلما أتت على مسلم ثماني عشرة سنة، وقد مات عقيل أبوه، قال لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة، وإني أعطيت بها مائة ألف، وقد أحببت أن أبيعك إياها، فادفع إلي ثمنها. فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه، فبلغ ذلك الحسين (عليه السلام)، فكتب إلى معاوية:

أما بعد فإنك اغتررت غلاماً من بني هاشم، فابتعت منه أرضاً لا يملكها، فاقبض من الغلام ما دفعته إليه واردد علينا أرضنا .

فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره ذلك ، وأقرأه كتاب الحسين (عليه السلام)، وقال :

أردد علينا مالنا وخذ أرضك، فإنك بعت ما لا تملك .

فقال مسلم: أما دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا .

فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه وقال:

يا بني، هذا والله كلام قاله لي أبوك حين ابتعت له أمك .

ثم كتب إلى الحسين (عليه السلام):

إني قد رددت عليكم الأرض، وسوغت مسلماً ما أخذه .

فقال الحسين (عليه السلام): أبيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً .[1]

هذه الرواية مرفوضة جملة وتفصيلاً، وذلك لما يلي :

- **أولاً**: لم يروها الا المدائني مرسلة، وعنه أخذ كل من رواها بعده بالنص أو بالمضمون . ونحن ممن لا يعبأ بروايات المدائني لما سيأتي .
- **ثانياً**: الرواية تفترض أن الحسين (ع) اتهم معاوية بأنه غرر بمسلم، وهذا فيه طعن بمسلم من جهة، لأنه باع ما لا يملك، وتم التغرير به، وبالحسين (ع) من جهة أخرى لأنه اتهم معاوية بالتغرير بمسلم ، بينما الرواية تنص على أن مسلماً هو من طلب من معاوية شراءها بمائة الف . وهذا إما جهل منه (ع) أو افتراء . وعلى الحالين هو طعن فيه .
- **ثالثاً**: الرواية تفترض أن عقيلاً جاء معاوية بعد حرب صفين، لأن كتب التاريخ ذكرت تفاصيل أخرى عن تلك الزيارة،

١ـ ورواه عن المدائني كل من: ابن ابي الحديد ، شرح المهج، ج١١، ص٢٥١ . والعلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٢، ص١١٦ .

ومنهـا أنـه سـأله عـن العسـكرين (أي عسـكر معاويـة وعسـكر علـي)، فيكـون قدومـه عليـه بعـد سـنة ٣٧، فـاذا اشـترى الجاريـة ذلـك العـام، ثـم أولـدها عـام ٣٨ (رغـم كـبر سنه يومها، وهـو٨٠ سنة)، وصـار عمـر مسـلم ١٨ سـنة كمـا تفـترض الروايـة، سـنكون بلغنـا سـنة ٥٧، أي أن حادثـة بيـع الأرض حصـلت عـام ٥٧ هـ، وعليـه فسـتكون سـفارته عـن الحسين الى الكوفة ومقتله فيهـا عـام ٦٠ هـ، وهـو بعمـر ٢١ سـنة . وهـذا مرفـوض كليـاً، لمـا سـيأتي مـن تحديـد عمـره الشريف .

- **رابعـاً**: إن الحسـين (ع) لم يجـز بيـع مسـلم مـع أن عمـره حسـب الرواية ثمان عشرة سنة ؟ فهل هو سفيه أم محتال ؟؟؟ فـإن لم يصلح لبيع أرض فكيف يصلح بعد ثلاث سنوات فقـط لمهمـة السفارة في واحدة من أعظم النهضات في التاريخ ؟؟؟
- **خامسـاً**: كـان لمسـلم مـع الحسـين ولـدان قـاتلا معـه، وهمـا محمـد وعبـد اللّه[1]، واستشـهدا معـه رضـوان اللّه عليهمـا . وهـذا لا يسـتقيم البتـة مـع كونـه استشـهد وهـو ابـن ٢١ سـنة

١ـ مقاتل الطالبيين، ص ٦٢. وتـاريخ خليفـة بـن خيـاط، ص ١٧٩. وفيـه: عبـد الـرحمن بدلاً من محمد .

كما يفهم من الرواية .

■ **سادساً** : الرواية موضوعة لأنها تفترض مدح الحسين لمعاوية ولكل آل ابي سفيان . وتكفي هذه القرينة على وضعها بعد ضمها الى أن الراوي الوحيد لها هو المدائني . وهو وإن لم يثبت أنه أموي الهوى إلا أننا لا نثق بما ينسب إليه ، ولا يبعد دس الرواية في كتبه أو روايتها عنه زوراً .

وعلى الرغم من أن رواية الواقدي التي تنص على أن مسلماً كان مشاركاً في فتح البهنسا في صعيد مصر الذي حصل عام ٢٢ هـ . تناسب ما نؤمن به من ولادته في أوائل الهجرة ، بل تدل عليه ، إلا أننا لا نعتمد على الرويات التي يتفرد بها الواقدي لعين ما أسلفناه في المدائني.[١]

وكيف كان ، فمن جهة كون أم مسلم أمة ، فقد جزم ابن خياط والبيهقي بذلك قائلين: ومسلم بن عقيل بن أبي طالب ، أمه فتاة تدعى حلبة .[٢]

---

١. الواقدي ، فتوح الشام ، ج٢ ، ص٢١٨ و٢٩٥ و ٣٠٤ .

٢. تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٧٩ . وابن فندق البيهقي في كتاب لباب الأنساب ، مكتبة السيد المرعشي النجفي ، قم ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

وفعل مثلهما ابن سعد في الطبقات الكبرى لكنه قال: وأمهم خليلة أم ولد .[1]

أما البلاذري فقال: أم ولد يقال لها : «حلية» .[2]

وأما ابن عنبة وابن الأثير فقد جزما بأنها أم ولد ، ولكنهما لم يذكرا اسمها .[3]

وقال ابو الفرج الأصفهاني:

وأمه أم ولد يقال لها «علية» وكان عقيل اشتراها من الشام فولدت له مسلماً ، ولا عقب له.[4]

فهذه مجموعة نصوص من مصادر مختلفة تثبت أنها أمة. ولم ينص أحد ، في ما أعلم، على أنها حرة . وعليه فلا يبقى مجال للبحث في كونها عربية أم لا ، خصوصاً مع نص ابن

١ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج٤ ، ص٤٢ .

٢ـ البلاذري ، أنساب الشراف. ج٢ ، ص ٦٩ .

٣ـ ابن عنبة ، أحمد بن علي الحسيني ، عدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق الطالقاني ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٦١ ، ص٣٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر ، ١٩٦٦ ، بيروت، ج٤ ، ص٩٣ .

٤ـ الأصفهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبيين، المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف، ١٩٦٥ ، ص ٥٢ .

قتيبة في المعارف على أنها نبطية من آل «فرزندا» .[1]

واختلفوا في النبط، قيل : هم سواد العراق .

وقيل: هم قوم يسكنون البطائح بين العراقين: البصرة والكوفة، وسمّوا نبطا، لأنّهم يستنبطون المياه من الآبار .

وقيل: هم عرب استعجموا، كقوم النعمان بن المنذر، وعجم استعربوا، كأهل البحرين وقوم شيث .

وقيل: (النبطية) من كان أبوها عربيّاً وأمّها أعجميّة وبالعكس .[2]

وقال الطريحي في مجمع البحرين:

النَبَط بفتحتين والنبط بفتح وكسر تحته، قوم من العرب دخلوا في العجم والروم، واختلفت أنسابهم وفسدت ألسنتهم وذلك لمعرفتهم بإنباط الماء أي استخراجه لكثرة فلاحتهم.[3]

١ـ الدينوري، ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، ص ٢٠٤ .

٢ـ الصيمري البحراني، الشيخ المفلح، كشف الالتباس عن موجز أبي العباس، مؤسسة صاحب الأمر، قم ١٤١٧هـ.، ج١، ص٢٠٠ .

٣ـ الطريحي، مجمع البحرين، دار مرتضوي، طهران، ج٤، ص٢٧٥ .

وكما ترى فليس بين الأقوال قول بأن النبط هم عرب أصلاً وحاضراً، بل النص على خلافه. ومن المسلم به لدى الجميع أن لسان النبط ليس لساناً عربياً، فيترجح أنهم ليسوا عرباً.

ويشهد له ما رواه الشيخ الصدوق في الخصال عن علي بن ابي طالب (ع) أنه قال:

السباق خمسة: فأنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبش، وخباب سابق النبط.[1]

حيث من الواضح أن المقابلة تقتضي المغايرة، والتقسيم يقتضي تباين الأقسام .

وأوضح منه ما رواه الكليني في رواية عن الأمام الصادق(ع) من أن النبطي هو الأرماني.[2] ولا يبعد أن يكون المراد من الأرماني الأرمني، والأرمن قوم، اصلهم من بلاد ارمينيا، وهم موجودون الآن ومنتشرون في بلدان عربية كثيرة وغالبهم

١ـ الصدوق، الخصال، ص ٣١٢ .

٢ـ الكليني، الكافي، ج٧، ص٨٦ .

مسيحيون .

وأوضح منهما ما رواه الصدوق في علل الشرائع عن أبي عبد اللّه (ع) قال :

يا هشام، النبط ليس من العرب ولا من العجم، فلا تتخذ منهم ولياً ولا نصيراً ، فان لهم أصولاً تدعو إلى غير الوفاء .[1]

وبملاحظة هذه الرواية وما ورد من أن عقيل كان عالماً بالأنساب فلا يخفى عليه ما تدعو اليه أصول النبط، يستبعد جدا ما رواه ابن قتيبة من أن أم مسلم بن عقيل كانت نبطية .

وكيفما كان، فلم يرد ما يعارض ما تقدم من كون أم مسلم بن عقيل أم ولد ، سواء أكانت عربية أم أعجمية أم نبطية .

أما ما ذكره البعض من أنها حرة بدلالة ترك ابن زياد التعرض لها في ما جرى بينه وبين مسلم من المحاورات، حيث نسب له أشياءً يُقطع بأنه لم يأتِ بها أصلاً ليسقطه في الأعين، فلو كانت أمه جارية لنبزه بها ، كما فعل هشام بن عبد الملك مع الشهيد زيد بن علي، حين نبزه بأن أمه جارية ، فليس بشيء

١ـ الصدوق، علل لشرائع، ج٢ ، ص ٥٦٦ .

إذ يحتمل أن يكون منَعَه من ذلك أن أم ابن زياد ليست في وضع يسمح له أن يعير الناس بأماتهم ولو كنَّ إماءً .

بل روى البلاذري عن عوانة قال: جرى بين ابن عقيل وابن زياد كلام، فقال له (ابن زياد): ايه يا بن حلية . فقال ابن عقيل: حلية خير من سمية وأعف .[1]

وفي موضع آخر منه :

وقال : أجئت يا ابن حلية لتنزع سلطاني ؟ وأمر به فضربت عنقه .

قال (أي الراوي وهو حصين): وحلية أم مسلم بن عقيل وهي أم ولد .[2]

والخلاصة: والدة مسلم بن عقيل أم ولد يقال لها علية أو حلية .

١ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢ ، ص ٨٧ .

٢ـ المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٤ .

الفصل الثاني

حياة مسلم بن عقيل الشخصية

لم ينص أحد من المؤرخين ، في ما أعلم، على تاريخ ولادته، رضوان الله عليه، فلا بد من استنباط ذلك من خلال القرائن والنصوص التي تحدثت عنه في مجالات مختلفة .

فمن ذلك ما ذكره المسعوديّ قال :

وكان ولد عقيل مع عليّ (عليه السلام) في حرب الجمل .[1]

ويفهم منه أن ولد عقيل كلهم كانوا مع علي في حرب الجمل، ومنهم مسلم .

وأوضح منه ما ذكره ابن شهرآشوب وابن أعثم الكوفي من أن علياً (عليه السلام) عبأ عسكره (يوم صفين)، فجعل على ميمنته الحسن والحسين و عبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى ميسرته محمد بن الحنفية ومحمد ابن أبي بكر وهاشم

١ـ المسعودي، مروج الذهب ج٢، ص٣٧٠ .

بن عتبة المرقال ... .[1]

ولازم ذلك أن يكون عمره قريب من عمر الحسنين ليقرن بهما. ومن المعروف أن ولادة الإمام الحسن (ع) كانت في السنة الثالثة للهجرة والحسين في الرابعة .

وفي فتوح ابن أعثم :

وعبى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أصحابه، فكان على خيل ميمنته الحسن والحسين سبطا النبي (ص)، وعلى رجالتها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومسلم بن عقيل بن أبي طالب .[2]

ومن المعلوم أن عبد الله بن جعفر أسن من الحسنين (عليهما السلام)، وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة .[3] وتوفى بالمدينة سنة ثمانين ، وهو ابن تسعين سنة .[4] فقرنُه بمسلم بن عقيل على الرجالة إشارة قوية الى أن مسلماً لم يكن

١ـ المناقب، ج٢ ، ص ٣٥٢. وفيه: ثم عبئ عسكره فجعل على ميمنته الحسن والحسين و عبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل .

٢ـ الفتوح، ج٣، ص٢٥ .

٣ـ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٣، ص١٢٣ .

٤ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٨٨١ .

أصغر منهم بكثير . فلا تتناسب مشاركته القيادية في صفين مع ما ذكره البعض من أن مسلماً قتل وهو ابن اربعين سنة[1] ، فيكون مولده سنة ٢٠ ، إذ لا زم ذلك أن مشاركته في صفين كانت وهو ابن ١٨ سنة . ومن البعيد جداً جعله على المقدمة مع الحسنين وعبد اللّه بن جعفر وهو حدث السن قليل الخبرة .

• زوجته وأولاده

نص أكثر المؤرخين على أن الإمام علي (ع) زوّجه ابنته رقية، فولد منها عبداللّه وعلياً.

وفي كتاب المجروحين لابن حبان أنها زينب الصغرى .[2] ولكنه في كتابه «الثقاة» قال بأنها رقية .[3] وفي عمدة الطالب أنها أم كلثوم.[4] كما نص أبو الفرج الأصفهاني وغيره على أن

١ـ العاملي، جعفر مرتضى، دراسات وبحوث، مؤسسة دار النشر، قم، ١٤٠٩ هـ، ج١، ص ٢١٣ .

٢ـ ابن حبان، كتاب المجروحين، دار الباز، مكة المكرمة، ج٢، ص ٣ .

٣ـ ابن حبان، الثقاة، ج٢، ص٣١١ .

٤ـ عمدة الطالب، مصدر سابق، ص ٣٢ . ولا تنافي بين الثلاث لأن رقية هو الاسم، وزينب الصغرى لقب تشبيها لها باختها السيدة زينب (ع)، وأم كلثوم كنية . ولا مانع من اجتماع الثلاثة في مسمى واحد .

أم رقيـة أم ولـد[1]، ونـص غـيره كـثيرون علـى أن أمهـا تغلبيـة[2]، سبية من سبي عين التمـر واسمها الصهباء، وتكنـى أم حبيب، ومـن المعلـوم أن غـزوة عـين تمـر كانـت في السـنة الثانيـة عشـرة للهجرة في خلافة أبي بكر .

ولـه ولـدان شـهيدان في كـربلاء همـا عبـدالله، وأمـه رقيـة، ومحمد وأمه أم ولد . وفي كتاب أعلام الورى أن محمداً هـو ابـن مسلم من رقية أيضاً .[3]

أما علي بن مسلم فلـم يعـرف كيـف مـات، ولـم يـذكروا لـه عقباً .

وفي المعارف :

فولد «مسلم بن عقيل»: عبد الله بن مسلم، وعليّ بن مسلم - أمهما: رقية بنت عليّ بـن أبـي طالـب، ومسـلم بـن مسـلم ، وعبـد العزيز .[4]

١ـ الاصفهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص ٦٢ .

٢ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٣ .

٣ـ الطبرسي، أعلام الورى، ج١، ص٣٩٧ .

٤ـ ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص ٢٠٤ .

وأضاف البلاذري مسلم بن مسلم، أمه من بني عامر بن صعصعة، وعبد الله لأم ولد، ومحمداً .[1]

وهذا يعني أنه كان في حياة مسلم اربع نساء، زوجتان وجاريتان .

- الزوجة الأولى: رقية بنت علي بن أبي طالب أنجبت له ولدين عبد الله وعلياً .
- الزوجة الثانية: امرأة من بني عامر بن صعصعة أنجبت له مسلم بن مسلم .
- جارية: أنجبت له عبدالله (الثاني) .
- جارية أخرى : أنجبت له محمداً ؟

فيكون عدد نسائه أربعاً وعدد أولاده الذكور خمسة . فإذا أضفنا عبد العزيز صاروا ستة ذكور . وإذا أضفنا عبد الرحمن الذي ذكره الذهبي أصبحوا سبعة ذكور .[2]

وسيوافيك الحديث عن مصيرهم .

---

١. راجع البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ٧٠ .

٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٢٠ .

• شهادات في مسلم

ولنختم الحديث عن شخصية مسلم بن عقيل ببعض الشهادات .

قال عنه المامقاني :

«من أصحاب الحسن والحسين (ع) هو سيد السعداء وأول الشهداء».[1]

ذكره البخاري في تاريخه الكبير في رواية عن أبي هريرة أنه قال: ما رأيت من ولد عبد المطلب أشبه بالنبي (ص) من مسلم بن عقيل .[2]

ومثله في كتاب الثقات لابن حبّان، وقال: كنيته ابو داوود.[3]

ووصفه البلاذري بأرجل ولد عقيل وأشجعهم.[4]

١ـ المامقاني. الشيخ عبد الله . تنقيح المقال، ج ٣ ص٢١٢ ، المطبعة المرتضوية ، النجف ١٣٥٢ هـ .

٢ـ البخاري، التاريخ الكبير، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، ج٧، ص٢٦٦ .

٣ـ ابن حبان، الثقات، مؤسسة الكتب الثقافية ، الهند ، ج٥، ص٢٩١ .

٤ـ البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج٢، ص ٧٧ .

وقال عنه ابن قتيبة: «... وكان من أشجع الناس.»[1]

وقال في المعارف: وخرج ولد «عقيل» مع «الحسين بن عليّ بن أبي طالب»، فقتل منهم تسعة نفر. وكان «مسلم بن عقيل» أشجعهم. وكان على مقدّمة «الحسين» فقتله «عبيد الله بن زياد» صبراً.[2]

ويشهد لشجاعة مسلم زيادة على ما تقدم ما اتفقت عليه كلمة الرواة من بسالته في قتال الفرسان الذين ارسلهم ابن زياد ليأتوا به من دار طوعة. فقد ذكر الطبري أنهم كانوا ستين او سبعين رجلاً. وذكر الدينوري أنهم كانوا مائة. أما ابن أعثم فقد نص على أنهم كانوا ثلاثمائة من صناديد أصحابه.[3] ومع ذلك لم يقدروا عليه، وهو فرد ، إلا بعد أن اثخن بالجراح فوقع أسيراً، كما سيأتي بيانه.

ولا ريب أن مسلماً كان متأصلاً بالفضائل نسباً واكتساباً، حيث تربى تربية علوية، وتخرج من مدرسة علي(ع)

١ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٠، ج٢، ص٩.

٢ـ ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص٢٠٤.

٣ـ ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٥٣.

مدرسة الخلافة الإلهية. ويكفيه فخراً قول الحسين (ع) عنه :

«وأنا باعث اليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي» .[1]

١ـ مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٢٤١ .

مهمة مسلم بن عقيل

من الواضح أن مهمة مسلم لم تكن مجرد أخذ البيعة من الناس وإخبار الإمام (ع) بذلك، بل كانت تقتضي تطهير الكوفة من الحكم الأموي والإمساك بزمام الأمور، وإخراج الوالي الأموي منها، حتى إذا قدم إليها الحسين (ع) كانت قاعدة ثابتة لمواجهة يزيد وأتباعه وقلعة حصينة للاعتصام بها من كيدهم ومكرهم.

جاء في الإرشاد:

ودعا الحسين بن علي عليهما السلام مسلم بن عقيل بن أبي طالب، رضي اللّه عنه، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد السلولي و عبد الرحمن بن عبد اللّه الارحبي، وأمره بتقوى اللّه وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس

مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك.[1]

وكتب كتاباً أرسله معه إلى أهل الكوفة، يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملا من المسلمين والمؤمنين، اما بعد:

فإن هانياً وسعيداً قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: انه ليس لنا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، وأنا باعث اليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فان كتب إلي انه قد أجمع رأي احداثكم وذوي الفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وتواترت به كتبكم أقدم عليكم وشيكا ان شاء الله، ولعمري ما الامام إلا الحاكم القائم بالقسط، الداين بدين الله، الحابس نفسه على ذات الله .[2]

فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان، حتى

١ـ الارشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٣٩ .

٢ـ مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص٢٤١ .

قدم الكوفة لخمس خلون من شوال.[1]

أي استغرق الطريق مدة عشرين يوماً .

وفي كتاب الفتوح :

فخرج مسلم بن عقيل من مكة نحو المدينة مستخفياً لئلا يعلم به أحد من بني أمية ، فلما دخل المدينة بدأ بمسجد رسول اللّه (ص) فصلى فيه ركعتين، ثم أقبل في جوف الليل حتى ودع من أحب من أهل بيته .[2]

- **رواية الدليلين**

وقد أورد الطبري رواية عن أبي مخنف عن أبي المخارق الراسبي نقلها عنه غالب من أرخ لمسلم بن عقيل، وهي رواية الدليلين التي تشتمل على أشياء منكرة ومتهافتة لا يمكن الوثوق بها ، وإليك نصها :

١ـ المسعودي، مروج الذهب، دار الهجرة، قم، ١٩٨٤ ، ج٣، ص٥٤ . أما ابن خلدون فزعم أنه دخل الكوفة في أول ذي الحجة، راجع تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج٣، ص٢٢ .

٢ـ الكوفي، ابن أعثم، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١ ، ج٥، ص ٣٢ .

ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به يتنكبان الطريق، فضلا وأصابهم عطش شديد فعجزا عن السير، فأومئا له إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم ذلك السنن ومات الدليلان عطشا . فكتب مسلم بن عقيل، رحمه الله، من الموضع المعروف بالمضيق مع قيس بن مسهر: أما بعد :

فإنني أقبلت من المدينة مع دليلين لي، فجارا عن الطريق، فضلا، واشتد علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء، فلم ننجُ إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت، وقد تطيرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري، والسلام .[1]

فكتب إليه الحسين بن علي، عليهما السلام :

«أما بعد: فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام» .

فقال : أما هذا فلست أتخوفه على نفسي .[2]

١ـ الارشاد ـ الشيخ المفيد ج ٢، ص ٣٩ :

٢ـ المصدر السابق، ص ٤٠ .

فأقبل حتى مر بماء لطيء فنزل به ثم ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد فنظر إليه قد رمى ظبياً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم: نقتل عدونا إن شاء الله.[1]

على الرغم من أن هذه الرواية واردة في غالب الكتب التي تعرضت لخروج مسلم إلى الكوفة، حتى الشيخ المفيد وابن نما وأمثالهم إلا أنه ما من شك في أن الرواية بما تحتويه من حكاية التيه وإرسال رسالة الاستعفاء وجوابها من موضوعات العباسيين بهدف التنقيص من مسلم ومن الحسين (ع)، ودليل ذلك ما يلي :

١. إن الراوي، وهو محمد بن بشر (بشير) الهمداني ، لم يرد فيه توثيق، هذا فضلاً عن أنه لم يكن حاضراً مع مسلم بن عقيل، فلا بد أنه روى عن واحد ممن كانوا معه ، وهو غير مذكور في الرواية، فالرواية مقطوعة، وساقطة سنداً.

والمترجح أن رواية الدليلين موضوعة من رأس، حيث إن الطبري، أقحم روايةً عن أبي المخارق الراسبي في ضمن رواية محمد بن بشر الهمداني، ثم ألحق بها كلاماً غير معروف النسبة، ثم أكمل الرواية التي بدأها عن الهمداني،

---

١. تاريخ الطبري ،

وهـذا مـا يـثير الشـك في أن يـداً عبثـت بـالنص، وأقحمـت حكاية الدليلين ورواية الراسبي داخل رواية الهمداني ليضيع الأثر .

٢. لم يذكر أحد ممن روى هذه الرواية سنداً لها غير السند الذي ذكره الطبري، ما يعني أنهم جميعاً أخذوا عنه دون تحقيق، ودليل ذلك إيرادها في جميع الكتب بالألفاظ عينها تقريباً، ودون زيادة أو نقصان .

٣. إن الرواية متهافتة من عدة وجوه، منها :

أ. ان مضيق الخبث الذي بعث منه مسلم رسالته إلى الإمام يقع ما بين مكة والمدينة حسب ما نص عليه الحموي حيث قال:

الخبت: ... وهو علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال له: خبت الجميش.[1]

في حين أن الرواية تنص على أنه استأجر الدليلين من يثرب، وخرجوا إلى العراق فضلوا عن الطريق، ومات الدليلان، ومن غير المعقول أن يرجعوا إلى الوراء، أو أن يتيهوا بين مكة

١ـ الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٤٣ .

والمدينة، وهم أبناء المنطقة، ولم يمر على مرورهم فيها أيام .

ب. ثم إن الخبت لغةً هو المطمئن من الأرض. ولذلك يوجد أماكن كثيرة تعرف بالخبت. من هنا نجد أن الحموي ذكر مكانين بهذا الاسم واقعين بين مكة والمدينة، هما خبت الجميش، وخبت البزواء، وأن الخبت اسم لقرية من قرى زبيد في اليمن، وأن الخبت سهل في الحرة، والحرة اسم على ما يربو عن ثلاثين موضعاً عددها الحموي[1]، وذكر أن الخبت: ماء لقبيلة كلب.[2] ولكنه لم يحدد مكانه . ومساكن كلب ومياههم كثيرة وفي مناطق مختلفة .

وكيف كان فإن الظاهر من اختيار واضع الرواية لاسم الخبت أنه يريد أن يعمي على الناس فلا يطالب، وإذا طولب أمكنه التخلص لكثرته .

ثم على فرض وجود مكان يدعى بهذا الاسم يقع ما بين المدينة والكوفة لم يذكره الحموي ولا غيره من أصحاب

---

١. المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤٥ .

٢. راجع معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٣ .

كتب البلدان[1]، فان مقتضى المسافة الفاصلة بين مكة والمدينة، وهي حدود ٩٠٠ كيلومتراً بين الذهاب والإياب، قضاء عشرة أيام في الطريق، حيث إن مسلماً خرج من المدينة حتى وصل الى الخبت، (وهو بين مكة والمدينة) ومن الخبت خرج رسوله إلى مكة، ثم عاد منها الى الخبت، ثم انطلقوا جميعاً نحو الكوفة مروراً بموازاة المدينة، ما يعني أنهم قطعوا المسافة بين المدينة ومكة ذهابا وإياباً، اي قطعوا ٩٠٠ كلم، وذلك يحتاج عادة الى عشرة أيام، إذ لا يقطع المسافر المجد أكثر من ٩٠ كيلومتراً في اليوم، وهو ضعف ما تسيره القافلة عادة .

هذا، إن لم نزد عليه مدة التيه ومدة بقاء رسول مسلم في مكة للقاء الحسين وأخذ الجواب منه وتجهيز نفسه للسفر بالماء والعلف .

١ـ مثل مختصر كتاب البلدان لأحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨ . ومثل كتاب الممالك والمسالك لأبي القاسم عبيد الله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة، طبعة ليدن، ١٨٨٩، وكتاب نبذ من كتاب الخراج لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، المطبوع مع المسالك والممالك، وكتاب البلدان لأحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٨ .

في حين أن سفر مسلم من مكة إلى العراق قد حدده المؤرخون فقالوا : انه سافر من مكة في اليوم الخامس عشر من رمضان، وقدم إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال[1] فيكون مجموع سفره عشرين يوماً . والمسافة بين مكة والكوفة لا تقل عن ألف وأربعمائة كيلومتراً ، فإذا أسقطنا المدة التي استهلكت بين المدينة ومكة (أي عشرة ايام) يكون مسلم قد قطع المسافة الكبيرة كلها (أي ١٤٠٠ كلم) في أقل من عشرة أيام، أي سار بسرعة ١٤٠ كلم في اليوم، وهو مستحيل عادة في ذلك الزمن .

هذا إذا لم نحسب المدة التي قضاها في المدينة للوداع وللتجهز للسفر وتأمين الدليلين المفروضين، وهو لا يكون في أقل من يومين . فضلاً عن أن التيه يقتضي تطويل المسافة لأنه على غير هدى . كل ذلك مبعدات قوية ، بل أدلة تمنع من قبول الرواية .

ج. إن السبب الذي يدعو لاستئجار الدليلين من المدينة ، دون مكة هو أن طريق مكة ـ المدينة معروف له ولمن معه ،

١ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٥٤ .

وهذا لا يتناسب مع احتمال التيه في هذه الطريق .

د. لماذا لم يهلك بالعطش سوى الدليلين، علماً أن الرجال كانوا ستة، مسلم وأصحابه الثلاثة والدليلان، فاحتمال أن يعطش الدليلان ويهلكا دون البقية لا تفسير له سوى أن مسلماً ومن معه استأثروا بالماء دونهما، وهذا باطل من وجوه :

- أولها: أن هذا ليس من شيم أهل هذا البيت عليهم السلام .

- ثانيها: أنهم بحاجة لهما فكيف يستغنيان عنهما، وهلاكهما يعني المزيد من التيه، وبالتالي إمكان هلاك الجميع .

- وثالثها: أنه على فرض قلة الماء بحيث لا يكفي إلا لأربعة، فإن الحكمة تقضي بمنع الماء عن أحد الدليلين وأحد أصحاب مسلم الثلاثة، ليبقى دليل ينقذ البقية .

هـ. ما هذه المصادفة العجيبة التي قضت بأن يكون الدليلان من مدينة واحدة، ومن قبيلة واحدة، ويتيهان معاً،

ويعطشان معا ، ثم يهلكان معاً في مكان واحد وزمان واحد ، وكأنهما شخص واحد ، ثم لا يموتان حتى يدلاهم على الطريق في اللحظة الأخيرة، إن هذا أشبه بالخيال منه بالواقع .

نعم، في رواية أخرى للطبري عن عمار الدهني عن ابي جعفر أنه مات احد الدليلين .[1]

و. إن الأشخاص الثلاثة الذين كانوا مع مسلم، وهم قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد السلولي و عبد الرحمن بن عبد الله الارحبي هم من الكوفيين، وهم من العارفين بالطريق، بدليل أنهم جاءوا بالرسالة للإمام الحسين (ع) بل بعضهم جاء بأكثر من رسالة في أكثر من سفرة، أي أنه عرف الطريق جيداً. ثم على فرض عدم معرفتهم بالطريق فمن اللازم أن يرسل الحسين (ع) مع هذا الرسول شخصاً عارفاً بالطريق ليدلهم عليه في بقية سفرهم إلى الكوفة، بدلاً من أن يكتفي بالتوبيخ والاتهام بالجبن، وهذا ما لم تذكره أية رواية .

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٥٤ .

ز.إن إرسال أحدهم، وهو في بعض الروايات قيس بن مسهر إلى الإمام الحسين يعني تعريضه من جديد للخطر إن لم يكن على معرفة بالطريق .

ح. لا فائدة ترجى من إعلام الحسين (ع) بما حصل سوى أن يتوقع مسلم أن يصدر أمر بالرجوع والتخلي عن فكرة السفارة إلى الكوفة لمجرد التطير الذي تذكره الرواية وتنسبه لمسلم، وهذا غير معقول لوجوه :

- أولها : أن التطير ليس من شأن المؤمنين العاديين بعدما قال رسول الله (ص): الطيرة شرك .[1]

وعنه أيضاً (صلى الله عليه وآله): من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك .

وعنه (صلى الله عليه وآله): من خرج يريد سفرا فرجع من طير فقد كفر بما انزل على محمد .

وعنه (صلى الله عليه وآله): ليس منا من تطير ولا من تطير له، أو تكهن أو تكهن له، سحر أو سحر له .[2]

١ـ السجستاني، سنن ابي داوود، ج٢، ص٢٣٠ .

٢ـ راجع الروايات الأربعة في كنز العمال تحت الأرقام التالية : ٢٨٥٥٦ ، ٢٨٥٦٦ ، ٢٨٥٧٠ ، ٢٨٥٦٥ .

فمن غير المعقول أن يستعفي من مهمة عظيمة، ويتراجع عن القيام بدور جليل لمجرد أنه تطير. إن أي مسلم عادي لا يفعل ذلك فما بالك بمن تربى في حجر علي بن أبي طالب (ع)، وصاحب الحسنين (ع) مدة طويلة من الزمن ؟

- ثانيها: أن مسلم بن عقيل يعرف إصرار الحسين (ع) وعزيمته، وأنه لا يأبه لحكايات التطير إذا ما أراد أمراً عظيماً كالذي هو مقدم عليه.

- ثالثها: أن مسلماً يعلم أن عملاً من هذا النوع لا يصدر إلا عن الضعفاء المترددين الخائفين، وسيستخدم أعداؤهم هذه الحادثة وسيلة للطعن عليه وعلى من أرسله ووثق به، وهذا هو بالضبط الهدف من اختراع هذه الرواية.

ط. إن الإمام اتهم مسلماً، في رسالته، بالجبن، وهو يناقض توثيقه له الوارد في الرواية المؤكدة، والتي فيها أنه ثقته وكبير أهل بيته، والمبرز بالفضل عليهم. فمع اتصافه بهذه الصفات كيف يتهمه بالجبن؟!.

ثم إن اتهام مسلم بالجبن يتناقض مع سيرته، خصوصاً

بملاحظة ما رواه ابن شهراشوب من أنه كان أحد قادة ميمنة علي بن أبي طالب (ع) في صفين إلى جنب الحسنين (ع)[1]، وبملاحظة ما قاله البلاذري من أنه أرجل ولد عقيل وأشجعهم.[2] وبملاحظة ما قاله عنه ابن قتيبة: «.. وكان من أشجع الناس»[3].

١ـ ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من اساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦، ج ٢، ٣٥٢.

٢ـ البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج٢، ص ٧٧.

٣ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٠، ج٢، ص٩.

مسلم داخل الكوفة

جاء في الطبري بروايته عن أبي مخنف عن الراسبي:

ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيد وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب . وأقبلت الشيعة تختلف إليه . فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون . فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

أما بعد، فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم ؟ والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه . والله، لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله. لا أريد بذلك إلا ما عند الله .

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال: رحمك الله قد

قضيت ما في نفسك بواجز من قولك . ثم قال: وأنا ، والله الذي لا إله إلا هو، على مثل ما هذا عليه .[1]

وفي روايته عن عمار الدهني عن أبي جعفر:

فخرج حتى قدمها ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة . قال : فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبوا إليه ، فبايعوه ، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً.[2]

وفي البداية والنهاية :

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي ، وقيل : نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي . فالله أعلم .[3]

وفي ارشاد الشيخ المفيد :

ثم أقبل حتى دخل الكوفة، فنزل في دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار سلم بن المسيب . وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم

١ـ تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٦٤ .

٢ـ المصدر السابق، ص ٢٥٤ .

٣ـ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٨، ص ١٦٣ .

كتاب الحسين بن علي عليهما السلام وهم يبكون، وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً . فكتب مسلم رحمه الله إلى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً، ويأمره بالقدوم .[1]

وفي ثقاة ابن حبان :

ودخل الكوفة، فلما نزلها دخل دار المختار بن أبي عبيد، واختلفت إليه الشيعة يبايعونه أرسالاً، ووالي الكوفة يومئذ النعمان بن بشير، ولاه يزيد بن معاوية الكوفة . ثم تحول مسلم بن عقيل من دار المختار إلى دار هانئ بن عروة[2] . وجعل الناس يبايعونه في دار هانئ حتى بايع ثمانية عشر ألف رجل من

١ـ الارشاد، مصدر سابق، ج٢، ص ٤١ .

٢ـ هانئ بن عروة بن نمران بن عمر ... المرادي المذحجي، من زعماء الكوفة المشهورين، عاصر النبي (ص) لأكثر من اربعين سنة، وتشرف بصحبته . ثم إنه كان من خواص أصحاب الإمام علي (ع) في الكوفة، وشهد معه الجمل وصفين، وكان يركب هاني في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل من قبيلته . انتصر لمسلم بن عقيل (ع) ودافع عنه فقتله عبيد الله بن زياد مع الشهيد مسلم(ع) بالكوفة وبها دفنا سنة (٦٠ هـ / ٧٨٠ م) .

راجع: تاريخ الطبري ج ٥ (مواقع متفرقة)، ومروج الذهب ج٣، ص٦٩ . ط ٢، مصر١٣٦٧، والإصابة، ح ٩٠٣٣ . وجمهرة انساب العرب، ص ٤٠٦، والارشاد للمفيد، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣، وتاريخ خليفة بن خياط .

الشيعة.[1]

وفي الطبقات الكبرى وأنساب الأشراف أنه نزل في دار هانئ بن عروة .[2]

ما أفهمه من تعدد الروايات المتحدثة عن البيت الذي نزل به مسلم يدل على أنه اعتمد اسلوب التعمية على العدو، فربما كان ينزل في بيت أمام عامة الناس، وهو بيت المختار، بقرينة نقل غالب المؤرخين لذلك، ولكنه كان يأخذ البيعة من أصحابه في بيت آخر كبيت مسلم بن عوسجة، بقرينة رواية الإرشاد من أن الناس كانوا يختلفون الى بيت مسلم للمبايعة، ويبيت في ثالث كبيت هانئ بن عروة بقرينة مواجهة الجاسوس معقل له في محضر ابن زياد .

ومن غير المعقول أن يأمره الحسين (ع) بالنزول في دار هانئ، ثم يخالفه الى النزول في بيت المختار أو غيره إلا على النحو الذي ذكرناه .

١ـ ابن حبان، الثقاة، الهند، ١٣٩٣ هـ، ط. اولى، ج ٢، ص ٢٠٧ .

٢ـ الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ٤، ص٤٣ . وأنساب الأشراف، مصدر سابق، ج٢، ص٨٦ .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الحذر الأمني الذي كان مسلم يأخذه في الخطوات التي يقوم بها ، وبالتالي يدل على حنكته وبعد نظره .

وربما يشير الى هذا المعنى أن مكان مسلم خفي على عبيد الله، فاضطر الى بعث عين عليه، وهو معقل الذي، كما سيأتي، بدأ بمسلم بن عوسجة طالباً منه أن يوصله الى مسلم ليبايعه ويسلمه اموالاً مرسلة معه .

وبعد أن بايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً ، كتب مسلم رحمه الله إلى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً ، ويأمره بالقدوم .

وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل رضي الله عنه حتى علم مكانه ، فبلغ النعمان بن بشير ذلك، وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية فأقره يزيد عليها ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

أما بعد : فاتقوا الله، عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغتصب الأموال، إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا آتي على من لم يأتِ

علي، ولا أنبه نائمكم، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنة، ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره، لاضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر. أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل.[1]

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، حليف بني أمية، فقال:

إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين.

فقال له النعمان: أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إلي من أن أكون من الأعزين في معصية الله.

ثم نزل. وخرج عبد الله بن مسلم فكتب إلى يزيد بن معاوية:

أما بعد: فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن يك لك في الكوفة حاجة فابعث

١ـ الارشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٤١.

إليها رجلاً قوياً، ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف .

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثم كتب إليه عمر ابن سعد بن أبي وقاص مثل ذلك .

فلما وصلت الكتب إلى يزيد دعا سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك ؟ إن حسيناً قد وجه إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، وقد بلغني عن النعمان بن بشير ضعف وقول سيئ، فمن ترى أن أستعمل على الكوفة ؟ وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد، فقال له سرجون : أرأيت معاوية لو نشر لك حيا أما كنت آخذا برأيه ؟ قال : نعم .

قال: فأخرج سرجون عهد عبيدالله بن زياد على الكوفة وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضُم المصرين إلى عبيدالله بن زياد .

فقال له يزيد: أفعل، ابعث بعهد عبيدالله إليه .

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكتب إلى عبيدالله بن زياد معه:

أما بعد: فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة، يخبروني

أن ابن عقيل بها يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام . وسلم إليه عهده على الكوفة . فسار مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيدالله بالبصرة، فأوصل إليه العهد والكتاب .[1]

• عبيد الله بن زياد يسير إلى الكوفة

فأمر عبيدالله بالجهاز من وقته، والمسير والتهيؤ إلى الكوفة من الغد، ثم خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن أعور الحارثي وحشمه وأهل بيته، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثم، والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين رأوا عبيدالله أنه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا: مرحبا بابن رسول الله، قدمت خير مقدم . فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساءه .

وفي كشف الغمة:

١ـ المصدر السابق، ص٤٣ ـ ٤٤ .

فلما قرب منها تنكر ودخلها ليلاً، وأوهم أنه الحسين، ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز، فصار يجتاز بجماعة جماعة، فيسلم عليهم، ولا يشكون في أنه هو الحسين عليه السلام، فيمشون بين يديه ويقولون : مرحباً، يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم .[1]

فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا : تأخروا، هذا الأمير عبيدالله بن زياد .

وسار حتى وافى القصر في الليل، ومعه جماعة قد التفوا به لا يشكون أنه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير عليه وعلى حاميته، فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فاطلع إليه النعمان وهو يظنه الحسين فقال: أنشدك الله إلا تنحيت، والله ما أنا مسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من أرب. فجعل لا يكلمه .

ثم إنه دنا وتدلى النعمان من شرف فجعل يكلمه، فقال : افتح لا فتحت، فقد طال ليلك .

١ـ كشف الغمة، مصدر سابق، ج ٢، ص٢٥٢ . ومثله في الفصول المهمة، مصدر سابق، ج٢، ص٧٩١ .

وسمعها إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتبعوه من أهل الكوفة على أنه الحسين فقال: أي قوم! ابن مرجانة والذي لا إله غيره . ففتح له النعمان ودخل وضربوا الباب في وجوه الناس فانفضوا .

وأصبح فنادى في الناس: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

أما بعد: فإن أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والاحسان إلى سامعكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبي عنك لا الوعيد .

ثم نزل . فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال :

أكتبوا إلى العرفاء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب، الذين رأيهم الخلاف والشقاق، (فمن يجئ بهم لنا فبرئ)، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغ علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا دمه

وماله، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا، صلب على باب داره، والغيت تلك العرافة من العطاء.

ولما سمع مسلم بن عقيل رحمه الله بمجئ عبيدالله بن زياد الكوفة، ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هانئ بن عروة فدخلها، وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ على تستر واستخفاء من عبيدالله، وتواصوا بالكتمان.[1]

١ـ الارشاد، مصدر سابق، ص ٤٥.

مؤامرة التجسس ورواية الفتك

روى البلاذري (٢٧٩ هـ) قال :

ودس ابن زياد مولى يقال له معقل، وأمره ان يظهر انه من شيعة علي، وان يتجسس من مسلم ويتعرف موضعه، وأعطاه ما لا يستعين به على ذلك، فلقي معقل مولى ابن زياد مسلم بن عوسجة الأسدي فقال له: إني رجل محب لأهل بيت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلم، وقد بلغني ان رجلا منهم بعث به الحسين بن علي صلوات اللّٰه عليه إلى شيعته من أهل الكوفة، ومعي مال أريد ان ادفعه إليه يستعين به على امره وأمركم، فركن ابن عوسجة إليه، وقال له الرجل القادم من قبل الحسين (بن علي هو) مسلم بن عقيل وهو ابن عمه وأنا مدخلك إليه .[1]

وفي الإرشاد :

١ـ أنساب الشراف، مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٧٩ .

فدعا ابن زياد مولى له يقال له معقل، فقال: خذ ثلاثة آلاف درهم[1]، ثم اطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحد منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم، وقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتها إياهم لقد اطمأنوا إليك ووثقوا بك ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم، ثم اغدُ عليهم ورُح حتى تعرف مستقر مسلم بن عقيل، وتدخل عليه .

ففعل ذلك وجاء حتى جلس إلى مسلم بن عوسجة الاسدي في المسجد الأعظم وهو يصلي، فسمع قوما يقولون: هذا يبايع للحسين، فجاء فجلس إلى جنبه حتى فرغ من صلاته، ثم قال: يا عبد الله ! إني امرؤ من أهل الشام، أنعم الله علي بحب أهل هذا البيت وحب من أحبهم ؟ وتباكى له، وقال :

معي ثلاثة آلاف درهم، أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله، فكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه ولا أعرف مكانه، فإني لجالس في المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له

١ـ وفي مثير الأحزان وأعلام الورى اربعة آلاف .

علم بأهل هذا البيت، وإني أتيتك لتقبض مني هذا المال وتدخلني على صاحبك، فإنما أنا أخ من إخوانك وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه .

فقال له مسلم بن عوسجة رحمه اللّه: احمد اللّه على لقائك إياي فقد سرني ذلك، لتنال الذي تحب، ولينصر اللّه بك أهل بيت نبيه عليه وآله السلام، ولقد ساءني معرفة الناس إياي بهذا الامر قبل أن يتم، مخافة هذا الطاغية وسطوته .

فقال له معقل: لا يكون إلا خيراً ، خذ البيعة علي .

فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحن وليكتمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به ، ثم قال له : اختلف إلي أياما في منزلي، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك .

فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن فأذن له، فأخذ مسلم بن عقيل رضي اللّه عنه بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي فقبض المال منه، وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً ، ويشتري لهم السلاح، وكان بصيراً ومن فرسان العرب ووجوه الشيعة .

وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، وهو أول داخل وآخر

خارج، حتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، وكان يخبره به وقتا فوقتا .[1]

• محاولة اغتيال ابن زياد

جاء في الاخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦):

وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان، وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على نفسه . فخرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة حتى أتى دار هانئ بن ورقة المذحجي، وكان من أشراف أهل الكوفة، فدخل داره الخارجة، فأرسل إليه وكان في دار نسائه، يسأله الخروج إليه، فخرج إليه .

وقام مسلم، فسلم عليه، وقال: (إني أتيتك لتجيرني وتضيفني) .

فقال له هانئ:

(لقد كلفتني شططاً بهذا الأمر، ولولا دخولك منزلي لأحببت أن تنصرف عني، غير أنه قد لزمني ذمام لذلك) .

١ـ المصدر السابق، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

فأدخله دار نسائه، وأفرد له ناحية منها .

وجعلت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ . وكان هانئ بن عروة مواصلاً لشريك بن الأعور البصري الذي قام مع ابن زياد ، وكان ذا شرف بالبصرة وخطر، فانطلق هانئ إليه حتى أتى به منزله، وأنزله مع مسلم بن عقيل في الحجرة التي كان فيها .

وكان شريك من كبار الشيعة بالبصرة، فكان يحث هانئاً على القيام بأمر مسلم، وجعل مسلم يبايع من أتاه من أهل الكوفة، ويأخذ عليهم العهود والمواثيق المؤكدة بالوفاء .

ومرض شريك بن الأعور في منزل هانئ بن عروة مرضاً شديداً ، وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد ، فأرسل إليه يعلمه أنه يأتيه عائداً .

فقال شريك لمسلم بن عقيل: «إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه، هو صائر إليَّ ليعودني، فقم، فادخل الخزانة حتى إذا اطمأن عندي، فاخرج إليه، فقاتله، ثم صر إلى قصر الإمارة، فاجلس فيه، فإنه لا ينازعك فيه أحد من الناس، وإن رزقني الله العافية صرت إلى البصرة، فكفيتك أمرها ، وبايع لك أهلها» .

فقال هانئ بن عروة: «ما أحب أن يقتل في داري ابن زياد» .

فقال له شريك: «ولمَ ؟ فوالله، إن قتله لقربان إلى الله» .

ثم قال شريك لمسلم: «لا تقصر في ذلك» .

فبينما هم على ذلك إذ قيل لهم: «الأمير بالباب» . فدخل مسلم بن عقيل الخزانة، ودخل عبيد الله بن زياد على شريك، فسلم عليه، قال : «ما الذي تجد وتشكو ؟» .

فلما طال سؤاله إياه استبطأ شريك خروج مسلم، وجعل يقول، ويُسمع مسلماً :

ما تنظرون بسلمى عند فرصتها

فقد وفى ودها ، واستوسق الصرم

وجعل يردد ذلك .

فقال ابن زياد لهانئ: (أيهجر ؟) - يعني يهذي - .

قال هانئ: (نعم، أصلح الله الأمير، لم يزل هكذا منذ أصبح) .

ثم قام عبيد الله وخرج، فخرج مسلم بن عقيل من الخزانة، فقال شريك:

«ما الذي منعك منه إلا الجبن والفشل ؟» .

قال مسلم: «منعني منه خلتان : إحداهما كراهية هانئ لقتله في منزله، والأخرى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن»» .

فقال شريك: «أما والله لو قتلته لاستقام لك أمرك، واستوسق لك سلطانك» .

ولم يعش شريك بعد ذلك إلا أياماً، حتى توفي ، وشيع ابن زياد جنازته، وتقدم فصلى عليه.[1]

وجاء في مقاتل الطالبيين لأبي الفرَج الأصبهاني (٣٥٦هـ):

ومرض شريك بن الأعور وكان كريماً على ابن زياد وكان شديد التشيع، فأرسل إليه عبيد الله: إني رائح إليك العشية فعائدك .

فقال شريك لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشية، فإذا جلس فاقتله، ثم اقعد في القصر، وليس أحد يحول بينك وبينه . فإن انا برأت من وجعي من أيامي هذه سرت إلى البصرة

١ـ الاخبار لطوال ، ابن قتيبة الدينوري، ص ٢٣٥ .

وكفيتك أمرها .

فلما كان العشي أقبل ابن زياد لعيادة شريك بن الأعور فقال لمسلم :

لا يفوتنك الرجل إذا جلس .

فقام إليه هانئ فقال: إني لا أحب ان يقتل في داري . كأنه استقبح ذلك .

فجاءه عبيد اللّه بن زياد فدخل وجلس وسأل شريكاً: ما الذي تجد ومتى اشتكيت ؟ فلما طال سؤاله إياه ورأى ان أحداً لا يخرج خشي ان يفوته فأقبل يقول :

ما الانتظار بسلمى ان تحيوها

حيوا سليمى وحيوا من يحييها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها

للّه أبوك ! إسقنيها وإن كانت فيها نفسي . قال ذلك مرتين أو ثلاثة .

فقال عبيد اللّه ـ وهو لا يفطن ـ : ما شأنه أترونه يهجر ؟

فقال له هانئ: نعم، أصلحك اللّه، ما زال هكذا قبل غيابت الشمس إلى ساعتك هذه .

ثم قام وانصرف . فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله ؟

فقال: خصلتان؛ أما إحداهما فكراهية هانئ ان يقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدثنيه الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن» .

فقال له شريك: أما والله، لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً .[1]

وأما في رواية ابن نما (٦٤٥هـ) فإن من منع مسلماً من قتل ابن زياد كانت جارية من نساء هانئ، قال :

فخرج مسلم والسيف في كفه وقال شريك: يا هذا ما منعك من الامر ؟

قال مسلم: لما هممت بالخروج تعلقت بي امرأة، قالت: ناشدتك الله إن قتلت ابن زياد في دارنا . وبكت في وجهي،

١ـ مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص ٦٥. وقريب منه ما في مناقب ابن شهراشوب (٥٨٨) ج٣، ص٢٤٢ .

وما في تنزيه الانبياء، المرتضى (٤٢٦ هـ)، ص ٢٢٨ . وأضاف: ولو كان فعل مسلم بن عقيل من قتل ابن زياد ما تمكن منه، ووافقه شريك عليه لبطل الامر . ودخل الحسين على السلام الكوفة غير مدافع عنها .

فرميت السيف، وجلست .

قال هاني: يا ويلها ، قتلتني وقتلت نفسها ، والذي فرت منه وقعت فيه .[1]

وفي أعلام الورى للطبرسي (٥٤٨) أن الذي منعه من تنفيذ الأمر هو رواية الفتك .[2]

• حديث الإيمان قيد الفتك

روى الكليني في الكافي عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ:

قَالَ قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّه (ع): إِنَّ لَنَا جَاراً مِنْ هَمْدَانَ يُقَالُ لَه الْجَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّـه وهُوَ يَجْلِسُ إِلَيْنَا فَنَذْكُرُ عَلِيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ(ع) وفَضْلَه فَيَقَعُ فِيه أفَتَأْذَنُ لِي فِيه ؟

فَقَالَ لِي: يَا أَبَا الصَّبَّاح أفَكُنْتَ فَاعِلاً ؟

فَقُلْتُ: إِي واللَّه لَئِنْ أَذِنْتَ لِي فِيه لأَرْصُدَنَّه، فَإِذَا صَارَ فِيهَا اقْتَحَمْتُ عَلَيْه بِسَيْفِي فَخَبَطْتُه حَتَّى أَقْتُلَه .

قَالَ فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّبَّاح، هَذَا الْفَتْكُ، وقَدْ نَهَى رَسُولُ

١ـ مثير الاحزان، ابن نما ، ص٢١ .

٢ـ اعلام الورى، الطبرسي، ج١ ، ص٤٩١ .

اللَّـه(ص) عَـنِ الْفَتْـكِ . يَـا أَبَـا الصَّـبَّاحِ إِنَّ الإِسْـلامَ قَيَّـدَ الْفَتْـكَ، ولَـكِنْ دَعْه فَسَتَكْفي بِغَيْرِكَ ...[1]

والفتك أن يـأتي الرجـل صـاحبه وهـو غـار غـافـل فيشـد عليـه فيقتله .[2]

وفي المجازات النبوية للشريف الرضي :

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمـان قيـد الفتـك» . وهـذه استعارة. والمراد بذلك أن الانسان المؤمن يمتنع لأجل إيمانـه أن يسـفك الـدم الحـرام طاعـة لأمـر الحميـة ، وركوبـاً لسـنن الجاهليـة ، فكـأن إيمانـه قـد فتكـه فتماسـكه ، وضـبط تهالكه .[3]

وهذا التفسير أخص مما سبق إذ هو هنا مقيد بالدم الحرام بينمـا هـو مطلق فيمـا تقدم، يشـمل الـدم الحـرام والـدم المهـدور بأمر الشرع، بقرينة الرواية المتقدمة والرواية الآتية .

١ـ الكافي مصدر سابق، ج٧، ص٣٧٦ .

٢ـ النهاية، ابن الأثير، ج٣، ص١٨٣ . والفيض الكاشاني، الوافي، ج١٥، ص٥٠١ . والعلامة المجلسي، ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الاخبار، ج١٦، ص٤٥١ .

٣ـ الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص ٣٥٧ .

ففي اختيار معرفة الرجال :

عن إسحاق الأنباري، قال، قال لي أبو جعفر الثاني عليه السلام :

ما فعل أبو السمهري لعنه اللّه يكذب علينا ، ويزعم أنه وابن أبي الزرقاء دعاة إلينا ، أشهدكم أني أتبرء إلى اللّه عز وجل منهما ، انهما فتانان ملعونان، يا إسحاق أرحني منهما يرح اللّه عز وجل بعيشك في الجنة .

فقلت له: جعلت فداك يحل لي قتلهما ؟

فقال: انهما فتانان يفتنان الناس، ويعملان في خيط رقبتي ورقبة موالي، فدماؤهما هدر للمسلمين . وإياك والفتك، فان الاسلام قد قيَّد الفتك . وأشفق إن قتلته ظاهراً أن تُسأل لمَ قتلته، ولا تجد السبيل إلى تثبيت حجة، ولا يمكنك إدلاء الحجة، فتدفع ذلك عن نفسك، فيسفك دم مؤمن من أوليائنا بدم كافر . عليكم بالاغتيال .[1]

والغيلة فسرها العلامة الحلي بقوله :

١ـ الطوسي، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، ٢ ، ص٨١١ .

والغيلـة أن يخـدع الإنسـان فيـدخل بيتـاً أو نحـوه، فيُقتـل أو يؤخذ ماله .[1]

ويبدو أن الفرق بين الغيلة والفتك أن القاتل في الغيلة مجهول بخلافه في الفتك فإنه قتل علني، فيلزم منه وقوع الفتنة .

والذي يظهر للمتتبع أن هذه الحكاية برمتها، رغم ورودها في أغلب كتب المؤرخين، لا يمكن الوثوق بها ولا الركون اليها بحال، وذلك لاضطرابها اضطراباً شديداً من جهة، ولاشتمالها على مضامين مظنةِ الوضع والدس والتحريف من جهة أخرى .

وبيان الحال أن يقال :

- **اولاً**: في اضطراب الرواية :

لعلنا لا نجد راويين اتفقا على صيغة متطابقة تماما لهذه الحكاية .

فمن قائل أن مسلماً دخل بيت هانئ برضاه ورغبته، وآخر أنه دخله بحيلة جعلت هانئاً محرجاً مضطراً لاستقبال ضيفه

١ـ العلامة الحلي، تحرير الاحكام، ج٥، ص ٤٤٢ .

كي لا يتحدث عنه الناس بسوء .

ومن قائل أن الذي مرض هو هانئ، وآخر أن المريض كان شريك بن الأعور .

ومن قائل أن شريكاً مرض، وآخر أنه تمارض[1] . ومثله في هانئ .

ومن قائل أن شريكاً نزل على هانئ حين قدومه من البصرة، وآخر أن هانئاً دعاه الى بيته وأنزله في حجرة مسلم .

ومن قائل أن الذي طلب من مسلم قتل عبيد اللّٰه بن زياد هو هانئ، وآخر أنه شريك .

ومن قائل أن هانئاً كان مطالباً بتنفيذ عملية القتل في بيته، وآخر أنه كان رافضاً لها، وأن هذا أحد أسباب امتناع مسلم عن قتل ابن زياد .

ومن قائل أن الكمين كان في بيت هانئ، وهم الأكثر، وآخر أن الكمين كان في دار شريك بن الأعور .[2]

١ـ الامامة والسياسة ابن قتيبة، ج٢، ص ٩ .

٢ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٦٥ .

ومن قائل أن الخطة كانت تقضي بقيام مسلم بقتله، وآخر أنهم هيأوا له ثلاثين رجلاً لاغتياله .

ومن قائل أن الذي منع مسلماً من القتل هو اعتراض امرأة من نساء هانئ له، طلبت منه عدم قتله، وآخر أن الذي منعه هو رواية الفتك، وثالث أن كليهما كانا سبب امتناعه .

ومن قائل أن زيارة عبيد اللّٰه بن مسلم كانت عشية، وهم الأغلب، وآخر أنها كانت صباحاً.(١)

ومن قائل أن ابن زياد كان مع حاشيته، وآخر أنه كان مع غلامه مهران فقط .

ومن قائل أن الذي تفطن الى أن في البيت خطراً عليه هو مهران، وآخر أنه عبيد اللّٰه .

هذا، فضلاً عن الاختلاف العريض في الألفاظ وفي الشعر الذي قاله شريك أو هانئ، وفي قول مسلم عند تبريره عدم اقدامه على التنفيذ، وعن اختلاف نسبة حديث الفتك في كلامه تارة الى الناس وأخرى الى علي (ع) .

١ـ الفتوح، ابن اعثم الكوفي، ج٥، ص٤٣ .

وكل هذه الروايات مرسلة لا سند لها ، وأفضلهم حالاً من حيث السند ، نسبتها الى أبي مخنف كما فعل الطبري، وكلنا يعلم أن الطبري يروي عن أبي مخنف أموراً منكرة .

- **ثانياً** : في المضامين المنكرة :

تشتمل هذه الحكاية على مجموعة مضامين لا يمكن قبوله لمنافاتها لروايات أقوى منها وأثبت من قبيل :

١. نسبة الجبن والفشل لمسلم . وقد تقدم مناقشة ذلك في رواية الدليلين . وكأن واضع الروايتين واحد ، يريد أن يثبت في الأذهان صفتي الفشل والجبن لمسلم بن عقيل .

٢. نسبة رفض استقبال هانئ لمسلم الا بحيلة[1] مع أن الحسين أوصاه بالنزول في دار هانئ ما يعني أن الحسين (ع) على بصيرة من سريرته وولائه .

٣. نسبة رفض هانئ قتل ابن زياد في داره . مع أن هذا فعل جاهلي لا يمت الى الإسلام بصلة ، أو أنه جبن وخوف لا يعهدان في مثل هانئ .

---

١. انساب الاشراف، البلاذري، ج٢ ، ص٧٩ . وتاريخ الطبري، ج٤ ، ٢٧٠ .

٤. نسبة حرص شريك على قتل ابن زياد دون مسلم وهانئ، وهو الذي قدم معه من البصرة وبينهما من العلاقة الحميمة ما لا ينكر.

- **ثالثاً**: كان بامكان مسلم حيث رفض الفتك أن يخبر شريكاً بهذا الرفض قبل مجيء ابن زياد درءاً لشبهة الجبن عن نفسه وانقاذاً لشريك من وضع نفسه موضع الغادر لصاحبه بدلاً من تركه يقوم بهذه التمثيلية الممجوجة بلا نتيجة.

أما قبوله بالخطة، ثم تفشيلها بذريعة رواية الفتك فهو ليس بصالحه. خصوصاً بملاحظة الرواية التي تقول أنه أقسم لشريك على قبوله بقتله[1]. ولا يقبل من مثل من هو سفير الحسين (ع) وثقة اهل بيته هذا التصرف الضعيف.

- **رابعاً** : كان بمقدور شريك وهانئ أن يعمدوا إلى اي رجل قوي من رجالهم بتنفيذ هذه المهمة الخطرة بدل أن يورطوا فيها سفير الحسين ومبعوثه إليهم، أو ضيفهم على الأقل،

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ٢٦٨. حيث قال: وقدم شريك بن الأعور شاكيا فقال لهانئ مر مسلما يكون عندي فإن عبيد الله يعودني وقال شريك لمسلم أرأيتك إن أمكنتك من عبيد الله أضاربه أنت بالسيف قال نعم والله.

وتعريضه للخطر . وهل كان خافياً عليهما وجه الحيلة في ذلك ؟ وهما زعيمان معروفان وسياسيان خبيران .

- **خامساً**: إذا كان الغدر مقوماً للفتك، كما يفهم مما تقدم، فقد كان بمقدور مسلم أن يتجنب الغدر، وذلك بأن يخرج من مكمنه، ويدخل مع ابن زياد في حوار سيؤدي بلا شك الى الاختلاف وربما الى المبارزة، فيكون قتالاً شريفاً، ولا يخشى على مسلم من مبارزة مثل ابن زياد ومهران، ولو اقتضى الأمر تدخل بعض رجال هانئ.

اللهم إلا إذا قلنا أن المقوم للفتك هو كون القاتل معلوماً، فيلزم من ذلك وقوع الفتنة، كما يفهم من رواية الامام الجواد(ع) المتقدمة، ففي هذه الحال سيكون قتال مسلم لعبيدالله وقتله فتكاً .

- **سادساً**: هذه الحكاية بمجملها تخدم بني أمية وبني العباس، وتطعن بأعدائهم من هاشميين وكوفيين، وهو ما يجعل احتمال الوضع والدس فيها قوياً جداً .

- **سابعاً**: جاء في بعض نصوص هذه الحكاية أن شريكاً لما طلب من مسلم قتل ابن زياد تعهد له إن هو برء من مرضه أن

يكفيه البصرة .[1] وكأن شريكاً يريد من مسلم أن يخلصه من ابن زياد لا حباً بالحسين ومساهمة في إنجاح ثورته ، بل رغبة بحكم البصرة. وهذا طعن بليغ بشريك وبالشيعة وبثورة الحسين (ع) . وهل يملك مسلم أو غيره أن يوكل أمر البصرة الى شريك أو غيره إن نجحت الثورة ، بدون مراجعة الامام الحسين (ع) ؟

- **ثامناً** : لو كان شريك، كما صوروه، حريصاً على قتل ابن زياد ، فلماذا لم يقتله في البصرة ما دام له سلطة ونفوذ فيها تخوله من ضبط امرها إن نجحت الثورة ؟ وعلى الأقل لماذا لم يأمر جماعته في البصرة بمشاغلة ابن زياد بافتعال مشاكل خفيفة ليؤخر قدومه الى الكوفة ريثما يدخلها الحسين (ع)، وهذا تساؤل مشروعٌ طرحه وفي محله؟ [2]

كل هذه المشاكل في هذه الحكاية تجعلنا نرفضها رفضاً قاطعاً ، ولكن ليس على قاعدة إنكار وقوع الحادثة من رأس، بل على قاعدة أن الرواية السليمة هي رواية أخرى غير هذه

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٧١ ، والنويري (٧٢٢)، نهاية الارب في فنون العرب، ج٢٠، ص٣٩١ .

٢ـ أنصار الحسين، محمد مهدي شمس الدين، ص ٢٢٢ .

المشهورة شهرة واسعة، فما هي تلك الرواية ؟

- **الرواية السليمة**

في كتاب ترجمة الامام الحسين من طبقات ابن سعد (٢٣٠) غير المطبوع، وهو كتاب حققه عبد العزيز الطباطبائي نقلاً عن نسخةٍ لطبقات ابن سعد وجدها في خزانة السلطان أحمد الثالث في تركيا عام ١٣٩٧، وهي مكونة من ١٢ جزءاً، لا ثمانية، كما هو المطبوع، إلا أن الجزء الثاني والعاشر غير موجودين . ويبدأ الجزء الثامن من تلك النسخة بترجمة الإمام الحسن ثم الإمام الحسين عليهما السلام، والمجلد الثاني عشر يتحدث عن النساء، وهو، أي الثاني عشر، مطابق للجزء الثامن من المطبوع.

جاء في صفحة ٦٥ منه ما نصه:

وكان قدم مع عبيد اللّه من البصرة شريك بن الأعور الحارثي وكان شيعة لعلي، فنزل أيضا على هانئ بن عروة، فاشتكى شريك، فكان عبيد اللّه يعوده في منزل هانئ، ومسلم بن عقيل هناك لا يُعلم به .

فهيؤوا لعبيد اللّه ثلاثين رجلاً يقتلونه إذا دخل عليهم .

وهـذا المقطـع مـن الروايـة لا غبـار عليـه، ولا يمـس أيَّـاً مـن مسلم أو هـانئ أو شـريك بسـوء، وهـو مؤيـد بمـا رواه الـذهبي في سير أعلام النبلاء إذ قال :

(وقـدم مـع عبيـد اللّه، شـريك بـن الأعـور ـ شـيعي ـ ، فنـزل علـى هـانئ بـن عـروة، فمـرض، فكـان عبيـد اللّه يعـوده، فهيـؤا لعبيد اللّه ثلاثين رجلاً ليغتالوه، فلم يتم ذلك . وفهم عبيد اللّه ، فوثب وخرج).[1]

ويقرب منه ما في تاريخ اليعقوبي :

فلما قدم ابن زياد الكوفة أخبر بعلة هـانئ، فأتـاه ليعـوده، فقـال هـانئ لمسـلم بـن عقيـل وأصـحابه، وهـم جماعـة: إذا جلـس ابـن زيـاد عنـدي وتمكـن، فـإني سـأقول أسـقوني، فـاخرجوا فاقتلوه، فأدخلهم البيت وجلس في الرواق .[2]

وفي الترجمة المذكورة أيضاً :

وتحشحش القوم في البيت، فـأنكر عبيـد اللّه مـا رأى منهم

١ـ سير اعلام النبلاء، الذهبي، ج٣، ص ٢٩٩ .

٢ـ اليعقوبي، تاريخ ليعقوبي، ج ٢، ص٢٤٣ .

فوثب فخرج، ودعا مولى لهانئ بن عروة كان في الشرطة فسأله فأخبره الخبر فقال: أَوَلا ؟!

ثم مضى حتى دخل القصر، وأرسل إلى هانئ بن عروة وهو يومئذ ابن بضع وتسعين سنة، فقال: ما حملك على أن تجير عدوي وتنطوي عليه ؟ فقال :

يا بن أخي، إنه جاء حق هو أحق من حقك وحق أهل بيتك .

فوثب عبيد الله وفي يده عنزة (أي عصا في راسها حديدة يقال لها زج) فضرب بها رأس هانئ حتى خرج الزج واغترز في الحائط ونُثر دماغ الشيخ، فقتله مكانه .[1]

وقريب منه ما في الإصابة:

فنزل شريك على هانئ بن عروة، وتمارض، فعاده عبيد الله بن زياد، فأرادوا الفتك به ففطن ورجع مسرعاً، واستدعى بهانئ بن عروة، فأدخل عليه القصر وهو بن بضع وتسعين سنة فعاتبه ثم طعنه بالحربة .[2]

وكذا ما في مروج الذهب :

١ـ ترجمة الامام الحسين من طبقات ابن سعد، ص ٦٦ .

٢ـ ابن حجر، الاصابة، ج٦، ص٤٤٥ .

فوجه محمد بن الأشعث ابن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانئ : إن لزياد أبيك عندي بلاء حسناً، وأنا احِبُّ مكافأته به، فهل لك في خير ؟ قال ابن زياد : وما هو ؟

قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك .

فقال ابن زياد : أدنوه مني . فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر انفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه .[1]

وهذا هو المتوقع من مثل هانئ، اي مواجهة الظالم بقول الحق، لا التبرؤ من تأييد الحسين (ع) واستقبال سفيره .

ويؤيد هذا المقطع من الرواية ما جاء في رواية سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام أيضاً :

فنمَّ عليهم عبد لهانئ، فبعث إلى هانئ، وهو شيخ، فقال : ما حملك على أن تجير عدوي ؟

١ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٧ .

قال: يا ابن أخي، جاء حق هو أحق من حقك .

فوثب إليه عبيد الله بالعنزة حتى غرز رأسه بالحائط .[1]

وفي الترجمة المذكورة أيضاً :

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة فما بلغ القصر إلا وهو في نحو من ستين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد .

ويؤيد هذا المضمون أيضاً ما في سيرة أعلام النبلاء للذهبي:

وبلغ الخبر مسلماً، فخرج في نحو الأربع مئة، فما وصل إلى القصر إلا في نحو الستين، وغربت الشمس، فاقتتلوا، وكثر عليهم أصحاب عبيد الله .[2]

وبملاحظة تطابق المضمون والأعداد في الروايتين، وتطابق الكثير من ألفاظهما يحصل الاطمئنان بأن الذهبي استقى كلامه من النسخة الكاملة لابن سعد، ما يعني أن النسخة

١ـ سير اعلام النبلاء، الذهبي، ج٣، ص ٢٩٩ . والذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤، ص١٧٠ .

٢ـ المصدر السابق .

الموجودة في تركيا هي نسخة صحيحة وكانت موجودة عند الذهبي وقد اعتمد عليها في كتابه سير اعلام النبلاء .

وبناء على هذه الرواية تصبح كل الروايات المتضاربة والمضطربة في حكم الساقطة لأن رواية ابن سعد متماسكة، وهي أقدم رواية بين كل هذه الرواية حيث إن وفاته كانت عام ٢٣٠ للهجرة، وهي فوق ذلك أكثرها انسجاماً مع واقع مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وشريك .

سجن هانئ بن عروة

وتستمر المصادر التاريخية في سردها:

وخاف هانئ بن عروة عبيدالله بن زياد على نفسه فانقطع من حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانئاً ؟ فقالوا : هو شاك .

فقال : لو علمت بمرضه لعدته .

ودعا محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانئ بن عروة، وهي أم يحيى بن هانئ، فقال لهم :

ما يمنع هانئ بن عروة من إتياننا ؟

فقالوا: ما ندري وقد قيل إنه يشتكي .

قال: قد بلغني أنه قد برءَ وهو يجلس على باب داره، فألقوه ومروه ألا يدع ما عليه من حقنا ، فإني لا أحب أن يفسد عندي

مثله من أشراف العرب .

فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه، فقالوا : ما يمنعك من لقاء الامير ؟ فإنه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنه شاك لعدته .

فقال لهم: الشكوى تمنعني .

فقالوا له : قد بلغه انك تجلس كل عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والابطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا .

فدعا بثيابه فلبسها ثم دعا ببغلته فركبها ، حتى إذا دنا من القصر كأن نفسه أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة:

يا ابن أخي إني والله لهذا الرجل لخائف، فما ترى ؟

قال: أي عم ! والله ما أتخوف عليك شيئا ، ولم تجعل على نفسك سبيلا ، ولم يكن حسان يعلم في أي شيء بعث إليه عبيدالله .

فجاء هانئ حتى دخل على ابن زياد ومعه القوم، فلما طلع قال ابن زياد : أتتك بحائن رجلاه . فلما دنا من ابن زياد ـ وعنده

شريح القاضي ـ التفت نحوه فقال :

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان أول ما دخل عليه مكرماً له ملطفاً .

فقال له هانئ: وما ذلك أيها الامير ؟

قال: إيه يا هانئ بن عروة، ما هذه الامور التي تربص في دارك لامير المؤمنين وعامة المسلمين ؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى علي .

فقال : ما فعلتُ، وما مسلمٌ عندي، قال: بلى، قد فعلت .

فلما كثر ذلك بينهما ، وأبى هانئ إلا مجاحدته ومناكرته، دعا ابن زياد معقلاً ـ ذلك العين ـ فجاء حتى وقف بين يديه، فقال: أتعرف هذا ؟

قال: نعم .

وعلم هانئ عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعة، ثم راجعته نفسه فقال :

اسمع مني وصدق مقالتي، فوالله لا كذبت، والله ما

دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره حتى جاءني يسألني النزول فاستحييت من رده، ودخلني من ذلك ذمام فضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما كان بلغك، فإن شئت أن أعطيك الآن موثقا مغلظا ألا أبغيك سوءا ولا غائلة، ولآتينك حتى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وانطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الارض، فأخرج من ذمامه وجواره .

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني أبدا حتى تأتيني به، قال: لا والله لا آتيك به أبدا، أجيئك بضيفي تقتله ؟ ! قال: والله لتأتين به، قال: لا والله لا آتيك به .[1]

هذا النص في الارشاد والطبري وغيرهما، ولكنه لا يتناسب مع رواية ابن سعد المتقدمة، ولا مع شأن هانئ بن عروة. وإنما أوردناه لبيان الحال الذي عليه كتب التاريخ .

ولا يخفى ما في موقف هانئ من ضعف، بحسب هذا النص، إن من ناحية القدرة على مواجهة الظالم، أو من ناحية ولائه لأهل البيت عليهم السلام، أو من ناحية إسلامه وتدينه

١ـ الارشاد، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٨ . تاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٧٢ .

حيث يقدمه المؤرخون كرجل لا يقيم وزنا إلا للأعراف العشائرية دون الاهتمام بالأحكام الشرعية .

قالوا :

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره - فقال: أصلح الله الامير، خلني وإياه حتى أكلمه، فقام فخلا به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، وإذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان، فقال له مسلم :

يا هانئ إني أنشدك الله أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء على عشيرتك، فوالله إني لأنفس بك عن القتل، إن هذا الرجل (أي مسلم) ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان .

فقال هانئ: والله إن علي في ذلك للخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الاعوان؟! والله لو لم أكن إلا واحدا ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه .

فأخذ يناشده وهو يقول: واللّه لا أدفعه أبداً .

فسمع ابن زياد ذلك فقال: أدنوه مني .

فأدني منه فقال: واللّه لتأتيني به أو لاضربن عنقك .

فقال هانئ: إذا واللّه تكثر البارقة حول دارك .

فقال ابن زياد: والهفاه عليك ! أبالبارقة تخوفني ؟

وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه .

ثم قال: أدنوه مني، فأدني، فاعترض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب وجهه وأنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه . ونثر لحم خده وجبينه على لحيته، حتى كسر القضيب .

وضرب هانئ يده إلى قائم سيف شرطي، وجاذبه الرجل ومنعه، فقال عبيداللّه:

أحروري سائر اليوم ؟ قد حل لنا دمك، جروه .

فجروه فألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، فقال: اجعلوا عليه حرسا ، ففعل ذلك به، فقام إليه حسان بن أسماء فقال له: أرسل غدر سائر اليوم؟ أمرتنا أن نجيئك

بالرجل، حتى إذا جئناك به هشمت وجهه، وسيلت دماءه على لحيته، وزعمت أنك تقتله .

فقال له عبيدالله: وانك لهاهنا ، فأمر به فلهز وتعتع ثم أجلس ناحية .

فقال محمد بن الأشعث:

قد رضينا بما رآه الامير، لنا كان أو علينا ، إنما الامير مؤدب.[1]

• مذحج تخذل زعيمها

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئاً قد قتل ، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر، ومعه جمع عظيم، ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها ، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أن صاحبهم قد قتل فأعظموا ذلك .

فقيل لعبيدالله بن زياد: هذه مذحج بالباب .

فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم

١ـ الارشاد، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠ . وتاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٤. ومقتل الحسين، ابو مخنف، ص ٢٨ . ومثير الأحزان، ابن نما، ص٢٢ .

اخرج وأعلمهم أنه حي لم يقتل .

فدخل فنظر شريح إليه . فقال هانئ لما رأى شريحاً :

يا لله! يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟! أين أهل الدين؟! أين أهل البصر ؟! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجة على باب القصر فقال: إني لاظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنه إن (دخل علي) عشرة نفر أنقذوني .

فلما سمع كلامه شريح خرج إليهم فقال لهم:

إن الامير لما بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم، امرني بالدخول إليه فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأن أعلمكم أنه حي، وأن الذي بلغكم من قتله باطل .

فقال عمرو بن الحجاج وأصحابه: أما إذ لم يقتل فالحمد لله ، ثم انصرفوا .[1]

وهذه الحادثة، إن صحت، وقد عرفت ما فيها، تدل على أمور:

- **أولاً**: أن شريحاً كان رجلاً غير موثوق، ولا أمين، وهو يعمل

١ـ الارشاد، مصدر سابق، ج٢، ص ٥١ .

بأمرة الحاكم مع علمه بالظلم والكذب الذين يمارسهما.

- **ثانياً**: أن عمرو بن الحجاج لم يكن يهتم لسلامة هانئٍ رغم أنه والد زوجته، بقدر ما كان يهتم برضا الامير عنه، وهو الذي فرَّط بدم هانئ، وقام بتهدئة بني مذحج كي لا يقوموا بأي عمل يؤدي الى استنقاذ هانئ من يد ابن زياد. وربما دعاه الى ذلك طمعه بامارة او ولاية او حسن السمعة بالطاعة للامير.

- **ثالثاً**: أن بني مذحج لم يكن فيهم ذوو بصيرة ومعرفة بأساليب الطغاة، ولا حرص على سلامة زعيمهم، حتى ابناء هانئ انفسهم، فانقادوا الى جدهم دون التأكد من سلامة ابيهم وزعيمهم .

وهذه النتائج تشكل مؤشرا مهما الى المصير الذي ينتظر مسلم . فإذا كان مبايعوه أمثال هؤلاء فعلى الثورة السلام .

وخرج عبيدالله بن زياد فصعد المنبر ، ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه ، فقال :

أما بعد: أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتجفوا وتحربوا ، إن أخاك

من صدقك، وقد أعذر من أنذر .

ثـم ذهـب لينـزل فمـا نـزل عـن المنـبر حتـى دخلـت النظـارة المسجد من قبل باب التمارين يشتدون ويقولون:

قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل!

فدخل عبيدالله القصر مسرعا وأغلق أبوابه .[1]

١ـ المصدر السابق.

خروج مسلم بن عقيل

في الطبري: (قال أبو مخنف) حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن حازم قال :

أنا ، والله، رسول ابن عقيل إلى القصر لانظر إلى ما صار أمر هانئ، قال : فلما ضرب وحبس ركبت فرسي، وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه، يا ثكلاه .

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد يا منصور أمت . فناديت : يا منصور أمت .[1]

وأي من الأمرين (مقتل هانئ واستعجال الخروج) لم تلحظه

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٥ .

الرواية المشهورة .

وهناك قرينتان إضافيتان ترجحان رواية ابن سعد ، وهما :

- الاولى أن مجرد أن يسجن هانئ في قصر الإمارة لا يستلزم من مسلم بن عقيل التسرع في الخروج قبل الوقت، وتعريض الثورة للفشل، بل إن حبس هانئ لم يستثر أبناءه ورجال عشيرته، كما مر، فلماذا يكون مسلم أكثر منهم انفعالاً ، وحكمة القيادة تفرض عليه التروي والصبر لعدة أيام ريثما يصل البعيد ويستعد القريب، ويتم الإعلان التام، وتنظيم الصفوف، ثم بعد ذلك يقتحم القصر، وينقذ هانئاً .

بل في رواية الطبري ما يهدمها حيث إن في مقدمتها أن الراوي هو رسول ابن عقيل الى قصر ابن زياد ليرى الى ما صار اليه امر هانئ ، وهذا يعني أن مسلماً لم يكن على علم بمصير هانئ ، وليس على يقين من مقتله ، فإذن لماذا يستعجل الخروج ، ويعرض الثورة للفشل ؟

بينما في رواية ابن سعد أن هانئا قُتل على الفور ، ولما وصل الخبر لمسلم تعجل الخروج بمن حضره من الرجال كردة فعل طبيعية تفرضها طبيعة الحدث ، إذ لو لم يفعل ذلك لعد ذلك منه

تهاونا بدماء كبار أصحابه، ولحقَّ لمن معه أن ينفضّوا عنه حينئذ .

-والثانية: ما جاء في الرواية المتقدمة مما يدل على أن هانئاً قتل على الفور، وهو قوله:

«وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه، يا ثكلاه» .

فإن إقامة النساء للعزاء والنداء بالثكل ظاهر في الدلالة على أن هانئاً قتل .

- **عدد أنصار مسلم حين الخروج**

إن رواية الطبري تجزم بأن الذين خرجوا مع مسلم كانوا أربعة آلاف، فعقد لهم وخرج بهم، ولكنه فشل في دخول القصر، وآل أمره الى الهزيمة .

وهي رواية توهم أن عدد أنصار مسلم كان ثمانية عشر ألفاً ، وأن الموجودين منهم حوله في الدور أربعة آلاف، وهذا لا يستقيم البتة، لأن الدور مهما كانت كثيرة وواسعة لا تتسع لأربعة آلاف رجل حاضرين جاهزين في كل آن . بل إن هذا العدد يحتاج الى ثكنات ومعسكرات معدة خصيصاً لاستيعابه

خصوصاً اذا كان فيهم فرسان، ومعهم خيولهم .

وعليه، فلا بد من حمل الرواية على أحد أمرين :

إما حملها على المبالغة، لا الحقيقة، ويكون الصحيح هو أربعمائة كما ورد في رواية ابن سعد المتقدمة التي اشتملت على قوله: «وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة» . وإما الحمل على أنه انتظر لعدة أيام حتى تكامل العدد بعد إعلان النفير العام بشعار: يا منصور أمت .

إن تضخيم عدد الرجال الذين كانوا مع مسلم، رضوان اللّه عليه، يخدم أعداء اهل البيت الذين يريدون الطعن بمسلم بأية وسيلة، فيعطي انطباعاً أن مسلماً يقود جيشاً قوامه الآلاف، وفيه الفرسان والألوية المعقودة، كما مر وسيأتي، وابنُ زياد ليس معه الا ثلاثون من شرطه، ومع ذلك فشل مسلم في اقتحام القصر . إن هذا المعنى لا يختلف كثيراً في جوهره عما رمت اليه رواية الدليلين ورواية الفتك .

ولا يكاد ينقضي عجبي من ابن حجر في الإصابة حيث يقول :

ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره فاجتمع عليه

أربعون ألفا من أهل الكوفة فركب ... فأمسى مسلم وليس معه إلا عدد قليل منهم .[1]

قالوا :

وتنادى أهل الكوفة ، فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندى على ربع كندة وربيعة وقال: سر أمامي في الخيل . ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم . وعقد لابن ثمامة الصائد على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم أقبل نحو القصر . فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الابواب .[2]

- **اجتماع أنصار مسلم من جديد في المسجد**

(قال أبو مخنف) وحدثني يونس بن أبى اسحاق عن عباس الجدلي قال:

خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف فما بلغنا القصر إلا ونحن

١ـ العسقلاني، ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٧٠ .

٢ـ مقاتل الطالبيين، ص ٧١ . وتاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٥ . والكامل لابن الاثير، ج٤، ص٣٠ .

ثلثمائة . قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر . ثم ان الناس تداعوا الينا واجتمعوا ، فوالله ما لبثنا إلا قليلا حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء .

فضاق بعبيد الله ذرعه وكان كبر أمره أن يتمسك بباب القصر وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشُرَط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه . وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذى يلي دار الروميين، وجعل مَن بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيدالله وعلى أبيه .[1]

وفي الارشاد مثله تماماً ، وكأنه أخذ عنه إلا أن فيه: ويشتمونهم ويفترون على عبيد الله وعلى أبيه .[2]

وهنا يطرح سؤال: ما دام الناس عادوا الى مسلم وتكاثروا فلماذا لم يقتحم القصر؟ هل كان ينوي محاصرة القصر لمدة

١ـ تاريخ الطبري، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

٢ـ الارشاد ، مصدر سابق، ج٢ ، ص ٥٢ .

من الزمن، وهو يعلم أن أهل الكوفة لا يؤمَنون أن يتركوه في أي لحظة ؟ ولو أنه اقتحم القصر لكان حسم المعركة وانتهى أمر ابن زياد .

هذا التساؤل يجعلنا نعيد النظر برواية الطبري المتقدمة عن أبي مخنف .

ففي مقاتل الطالبيين بدل كلمة «يثوبون» اي يرجعون الى مسلم «يتوثبون»[1] ، أي يجهزون أنفسهم للهجوم . وليس في ذلك دلالة على تكاثر عددهم من جديد .

وجاء في مثير الأحزان:

ولما بلغ مسلم بن عقيل خبره خرج بجماعة ممن بايعه إلى حرب عبيد اللّه بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيد اللّه فتحصن بدار الامارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل، فتفرقوا عنه، وبقي معه أناس قليل، فدخل المسجد يصلي، وطلع متوجهاً نحو باب كندة فإذا هو وحده لا يدري أين يذهب .[2]

١ـ مقاتل الطالبيين، ص ٧١ .

٢ـ ابن نما ، مثير الأحزان، ص ٢٢ .

ومعنى ذلك أن مسلما حاول اقتحام القصر بالعدد القليل الذي معه، ولكنه لم يتمكن من دخوله الى أن دخل الليل، فتفرق عنه من كان معه . وبهذا يرتفع السؤال المتقدم، ويحمل قولهم: «يثوبون» على التصحيف أن لم نحمله على التحريف المقصود .

ولكن الأمر أعقد من ذلك حيث ورد في الرواية حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق . أي امتلأ المسجد وامتلأ السوق، وهو يعني تزايد الأعداد بشكل ملحوظ وإن لم يصل الى الآلاف. الا أن ما يهون الخطب أمران :

- الاول: أن في رواية مقاتل الطالبيين : من الناس والسوقة . أي امتلأ المسجد فقط من الناس الذين كانوا مع مسلم ومن الناس الذين كانوا في السوق . ولعلهم قدموا الى الصلاة في المسجد، ولم يكونوا محاربين . وهنا يعود الامر الى التصحيف مرة أخرة بحذف التاء من كلمة السوقة .

- الثاني: أن هذا النص غير وارد في رواية ابن نما بتاتاً .

- والخلاصة: لا دليل على أن عدد أنصار مسلم الذين خرجوا معه كانوا أكثر من أربعمائة، ولا دليل على أن الذين

وصلوا معه الى القصر كانوا أكثر من ستين رجلاً كما تؤكده رواية ابن سعد المتقدمة .

- **عدد من كان مع ابن زياد في القصر**

تقدم في رواية ابي مخنف عن الجدلي أن ابن زياد لم يكن معه من انصاره سوى ثلاثين من الشرط وعشرين من الأعيان والأشراف، واهل بيته .

وهذا أمر لا يمكن قبوله أيضاً، وذلك للأمور التالية:

- **أولاً**: إن الأعيان لا يقاتلون عادة، ويبقون الى جانب الأمير للنصح والمشورة، ولم يذكر أحد من المؤرخين أن واحداً من هؤلاء الأعيان قاتل الثوار .

- **ثانياً**: إن مقاتلة ثلاثين شرطياً لثلاثمائة رجل من الثوار والصمود أمامهم حتى الليل أمر في غاية الغرابة، لأن عدم تكافؤ العدد من جهة، وكون الشرطي مجرد موظف يقاتل لأجل المال، ويدافع عن غيره، بينما الثائر يقاتل لأجل قضية، ويدافع عن نفسه بعدما رأى ما حل بابن عروة من جهة ثانية، يجعلان الكفة راجحة مادياً ومعنوياً لصالح

المهاجمين . بل يمكن القول أن قادة الألوية الأربعة، وخامسهم مسلم، كفيلون بحسم الأمر ومواجهة ثلاثين شرطياً موزعين على الأبواب والمنافذ . إذ بمجرد أن يقتل اربعة أو خمسة منهم، ويجرح مثلهم سيفر الباقون ويتراجعون، إن لم نقل أنهم سينضمون للثوار . فما بالك بثلاثمائة مقاتل أو ستين مقاتلاً على رواية ابن سعد ؟؟

- **ثالثاً**: روى الطبري: «ودعا عبيدالله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي، فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلى وشبث بن ربعي التميمي وحجار ابن أبجر العجلى وشمر بن ذى الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلة عدد من معه من الناس ، وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل» .[1]

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٦ .

ونسجل على هذه الرواية الملاحظات التالية :

١. هؤلاء قادة ستٌ، لا يكون مع الواحد منهم أقل من ثلاثين أو أربعين رجلاً ليتمكن من القيام بالمهمة التي أوكلت إليه، ولازم ذلك أن يكون عدد من كان في أنصار ابن زياد قريب المائتي رجل على الأقل، عدا الشُرط .

٢. لنفرض أن هذا العدد (أي المائتين) خرج من القصر أول النهار ليخذِّل الناس ويفرقهم عن مسلم، ولكن افتراض أنهم لم يعودوا آخر النهار الى القصر، خصوصاً مع شيوع خبر الهجوم عليه، هو افتراض غير منطقي . وعلى أقل التقادير رجوع بعضهم إليه . بل إن في رواية مقاتل الطالبيين أن كثير بن شهاب كان معه في القصر عند المساء، وأنه خرج من القصر مع من أطاعه من مذحج ليخذل الناس الذين مع مسلم في المسجد، وذكروا نص كلامه مع الناس، كما سيأتي .

٣. إن اخراج الناس كلهم من القصر، والاكتفاء بثلاثين فقط لحراسته وحراسة من فيه رغم خطورة الموقف التي يفرضها حبس هانئ أو قتله، وهو شيخ مذحج، أمر غير معقول، ولا يتناسب مع حذر ابن زياد وما يعرف منه من

مهارة في تقدير الأمور والاحتياط لها ؟؟

٤. جاء في رواية ابن سعد : «ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد» . وهو نصٌ على أن عدد أنصار ابن زياد كان أكثر من عدد أنصار مسلم بن عقيل حين حصول المعركة .

- **رابعاً** : في رواية الطبري جاء هذا النص : «ولما اجتمع لدى ابن زياد جماعة من الناس، عقد لشبث بن ربعي لواءً، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون» .

يعني أن المحاربين لمسلم كانوا لواءً . ولا يمكن افتراض عقد لواء على ثلاثين شرطياً . وترك الطبري العدد مجهولاً ، فقال: «وأقام الناس» ليلبس على القارئ، فلا يعرف بالضبط كم كان عدد من يقاتل جيش مسلم .

لا يقال: الحسين (ع) كان كل جيشه لا يتجاوز العشرات، ومع ذلك كان لواؤه بيد العباس، فما المانع أن يكون لواء شبث بن ربعي عشراتٍ أيضاً ؟

فإنه يقال: قبلنا أن يكون لواء شبث عشراتٍ، وسيكون جند أصحاب الرايات الخمس الأخرى قريبة منه، فلن يكون

العدد ثلاثين قطعاً ، بل سيقارب المائتين، بالإضافة الى شُرطة القصر.

- **خامساً**: من أهم القرائن الدالة على كثرة من كان مع ابن زياد أنه في صبيحة اليوم التالي لهجوم القصر تم كشف مكان مسلم بن عقيل، حيث لم يبت مسلم سوى ليلة واحدة عند طوعة كما سيأتي . فماذا فعل ابن زياد ؟ يحدثنا الطبري فيقول :

(قال أبو مخنف) فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي أن ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابن عقيل بعث (اي ابن زياد) إلى عمرو بن حريث وهو في المسجد خليفته على الناس أن أبعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس[1]، وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل فبعث معه عمرو بن عبيد اللّه بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس

---

١. انقسم العرب الى القيسية واليمنية ، والقيسية هم عرب الشمال بمختلف أسمائهم المتداخلة والمتوالدة كالعدنانيين، القيسيين والمضريين، واليمنية هم عرب الجنوب من اليمنيين أو القحطانيين. وقيس بن الأشعث هو يمني من كندة ، وكان اهل اليمن أقرب الى علي عليه السلام من القيسية .

حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل .[1]

ستون أو سبعون رجلاً من قيس وحدها ، كانوا جاهزين للمهمة عند صباح اليوم التالي . اين كانوا هؤلاء أمس؟؟؟ ولا بد أن تضع في قبالهم بعض اليمانية الذين على شاكلة الأشعث وأولاده . واما الدينوري فقد ذكر أن العدد كان مائة، وكانوا كلهم من قريش، قال : وقال لعبيد بن حريث ما قاله الدينوري في أخباره:

وقال لعبيد بن حريث: (ابعث مائة رجل من قريش) وكره أن يبعث إليه غير قريش من العصبية أن تقع .[2]

يا للّه !! كان مع ابن زياد مائة رجل من قريش ؟ هذا كثير جداً .

- **سادساً** : في البداية والنهاية قال ابن كثير: «وبعث ابن زياد عمرو بن حريث المخزومي ـ وكان صاحب شرطته ـ ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين

١ـ تاريخ الطبري، ج٤ ، ص٢٧٩ . والثقاة، ابن حبان، ج٢ ، ص٣٠٨ .

٢ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٠ .

فارساً».[1]

بينما جاء في الفتوح: «قال: ثم أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة راجل من صناديد أصحابه» .[2]

ولا مانع من صدق الروايتين معاً، فرواية ابن كثير تحدثت عن الفرسان، ورواية الفتوح تحدثت عن الرجالة، فيكون المجموع ٣٨٠ مقاتلاً تقريباً .

- **والخلاصة:** لا يبعد أبداً أن يكون مع ابن زياد في القصر وملحقاته ما لا يقل عن مائتي مقاتل تابعين لبعض الأعيان العشرين المتواجدين معه، عدا عن ثلاثين من الشرط، قاموا جميعهم بمواجهة أقل من ثلاثمائة مقاتل من الثوار على رواية الطبري، أو أقل من ستين مقاتلاً على رواية ابن سعد، وهذا ما يفسر تفسيراً معقولاً سبب استمرار القتال طيلة فترة ما بعد الظهر الى الليل .

وقد صرح الدينوري في أخباره الطوال بهذا العدد حيث قال:

١ـ البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨، ص١٦٧ .

٢ـ الفتوح، مصد سابق، ج٥، ص ٥٢ .

وتحصن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا .[1]

إن التعمية على العدد الحقيقي لأنصار ابن زياد لا يأتي من جهل، بل من علم وقصد بهدف تثبيت فكرة فشل القيادة، وهو ما يتناسب تماماً مع رواية الدليلين ورواية الفتك ورواية عقد الألوية لأربعة آلاف مقاتل، فالجميع من نسج واحد .

١ - الدينوري ، الاخبار الطول ، ص٢٣٨ .

الفصل الثامن

الحرب النفسية

ما من شك أن ابن زياد كان عالماً بنفوس أهل الكوفة وطبائعهم، ولذلك تعامل معهم بالنحو الذي يناسبهم، واستخدم وسائل الحرب النفسية، من تهديد ووعيد، أو وعد وبشارة حسبما يقتضيه الحال . فأطمع بعضهم، وخصوصاً رؤساء العشائر بالمال، وخوَّف بعضهم الآخر بجيش الشام وبتهديداته الصارمة، وهذا ما فعل في نفوس أهل الكوفة فعله السريع، فانقلب الشارع الكوفي خلال أيام رأساً على عقب .

ولما اجتمع لدى ابن زياد جماعة من الناس، عقد لشبث بن ربعي لواءً، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء وأمرُهم شديد، فبعث عبيدالله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس، فمنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوِّفوا أهل المعصية الحرمان

والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم .[1]

(قال أبو مخنف) حدثني سليمان بن أبى راشد عن عبد اللّه بن حازم الكبرى من الازد من بني كبير قال أشرف علينا الأشراف فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب فقال :

أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت وقد أعطى اللّه الامير عهدا لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازى أهل الشأم على غير طمع وأن يأخذ البرئ بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها .

وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا فلما سمع مقالتهم الناسُ أخذوا يتفرقون وأخذوا ينصرفون .[2]

من الواضح أن الأعيان بخطبهم الطويلة كانوا يريدون

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٧ .

٢ـ المصدر السابق .

كسب ما أمكن من الوقت ليحل الظلام ويسهل انسحاب من يرغب بالتراجع، فماذا كانت وظيفة مسلم ؟ ولماذا لم يقطع كلامهم بالأمر بالهجوم قبل غياب الشمس ؟

هذا التساؤل يصب في صالح المشككين بالقيادة أيضاً . ولكننا لم نجد في كتب التاريخ خطباً طويلة، حيث لم يوردوا إلا مقاطع قصيرة كتلك التي تقدمت، ما يرجح أن القضية لا تزال في طور المبالغة في التصوير لتحقيق الهدف المشار اليه .

- **<u>خذلان أهل الكوفة</u>**

(قال أبو مخنف) فحدثني المجالد بن سعيد أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف الناس يكفونك . ويجيئ الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر ؟ انصرف . فيذهب به، فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد حتى صُليت المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً .

فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فلم يلج الأبواب ومعه منهم عشرة،

ثـم خـرج مـن البـاب وإذا لـيس معـه انسـان، والتفـت فـإذا هـو لا يحس أحـداً يدلـه على الطريق، ولا أحـد يدلـه على منـزلٍ يـأوي إليه، ولا أحد يواسيه بنفسه إن عرض له عدو .

لا مانع من افتراض أن الذين خرجوا معه بعد الصلاة كانوا أشخاصـاً غـير مخلصـين، ينتظـرون الفرصـة المؤاتيـة للفـرار . ولكن أين الرجال المخلصون، ولماذا اختفوا أيضاً . ومنهم مسلم بـن عوسـجة وأبـو ثمامـة الصـائدي وعبـاس بـن جعـدة الجـدلي وغيرهم . وسيوافيك الحديث عنهم إن شاء اللّه تعالى .

الفصل التاسع

شهادة مسلم بن عقيل

- **مسلم في دار طوعة**

يقول المؤرخون :

فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة أم ولد كانت للاشعث بن قيس فأعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً ، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره، فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه فقال لها:

يا أَمَةَ الله اسقيني ماء .

فدخلت فسقته فجلس وأدخلت الاناء، ثم خرجت فقالت:

يا عبد الله، ألم تشرب ؟

قال: بلى .

قالت: فاذهب إلى أهلك .

فسكت، ثم عادت، فقالت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له: فئ للّه، سبحان اللّه، يا عبد اللّه، فمر إلى أهلك، عافاك اللّه، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك .

فقام، فقال: يا أَمَةَ اللّه، ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلي مكافئك به بعد اليوم.

فقالت: يا عبد اللّه، وما ذاك ؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغروني .

قالت: أنت مسلم ؟

قال: نعم .

قالت: ادخل .

فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء، فلم يتعش، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال:

واللّه إنه ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه، إن لك لشأناً .

قالت: يا بني الهُ عن هذا .

قال لها: واللّه لتخبرنّي .

قالت: أقبل على أنك ، ولا تسألني عن شيئ .

فألح عليها ، فقالت: يا بني، لا تحدثن أحداً من الناس بما أخبرك به .

وأخذت عليه الايمان، فحلف لها ، فأخبرته، فاضطجع وسكت. [1]

وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس، وقال بعضهم كان يشرب مع أصحاب له. [2]

وهذه الرواية إن صحت سنداً فبها ، وإن لم تصح من حيث السند فليس فيها ما يُنكر، ولا ما يطعن بمسلم أو بطوعة في شيء .

• ابن زياد يتنفس الصعداء

ولما طال على ابن زياد ، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل

١ـ المفيد، الارشاد، ج٢، ص ٥٤ بتصرف يسير، ومثله تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٨ .

٢ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٨ .

صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك، قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً ؟

فأشرفوا، فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم.

ففرعوا بحابح المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون هل في الظلال أحد، وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدولوا القناديل وأنصاف الطنان تشد بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلى حتى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال، وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر، فلما لم يروا شيئا أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في المسجد، ثم خرج، فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع، فنادى:

ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد.

فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه، فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم :

إن شئت صليت بالناس أو يصلى بهم غيرك، ودخلت أنت فصليت في القصر، فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك .

فقال: مر حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون، ودر فيهم، فإني لست بداخل .

فصلى بالناس، ثم قام فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد ، فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة اللّه من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته، اتقوا اللّه، عباد اللّه، والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً .

يا حصين ابن تميم، ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل، ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة ، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبحْ غداً واستبرأ الدور، وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل .

وكان الحصين على شرطه وهو من بني تميم، ثم نزل ابن زياد، فدخل وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس.[1]

١ـ ارشاد المفيد، ج٢، ص٥٧ .

• مسلم بن عقيل في أيدي الظلمة

فلما أصبح جلس مجلسه، وأذن للناس، فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث، فقال له: مرحباً بمن لا يستغش ولا يتهم.

ثم أقعده إلى جنبه، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذى آوت أمه ابن عقيل، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث، فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه، قال: فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه، وهو عند ابن زياد، فساره. فقال له ابن زياد: ما قال لك؟

قال: أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا.

فنخس بالقضيب في جنبه، ثم قال: قم فاتني به الساعة.[1]

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفى أن ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث وهو في المسجد خليفته على الناس أن أبعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس، وإنما كره أن يبعث معه قومه (أي اليمانية) لأنه قد علم أن كل قوم

١ـ تاريخ الطبري، الطبري، ج٤، ص ٢٧٩.

يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل، فبعث معه عمرو بن عبيدالله بن عباس السلمى في ستين أو سبعين من قيس حتى أتوا الدار التى فيها ابن عقيل . فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه، فشد عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين، فضرب بكير فم مسلم، فقطع شفته العليا، وأشرع السيف في السفلى، ونصلت لها ثنيتاه، فضربه مسلم ضربة في رأسه منكرة، وثنَّى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه .

فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثم يقلبونها عليه من فوق البيت . فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكة، فقاتلهم، فأقبل عليه محمد بن الأشعث، فقال: يا فتى، لك الأمان، لا تقتل نفسك .

فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرا ... وإن رأيت الموت شيئاً نكرا

كل امرئ يوما ملاق شرا ... ويخلط البارد سخناً مرا

رد شعاع الشمس فاستقرا   أخاف أن أكذب أو أغـرا

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب، ولا تخدع، ولا تغر، إن القوم بنو عمك، وليسوا بقاتليك، ولا ضاربيك .

وقد أثخن بالحجارة، وعجز عن القتال، وانبهر، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمد بن الأشعث فقال: لك الأمان .

فقال: آمن أنا ؟

قال: نعم .

وقال القوم: أنت آمن . غير عمرو بن عبيدالله بن العباس السلمى، فإنه قال :

لا ناقة لي في هذا ولا جمل . وتنحى .

وقال ابن عقيل أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم . وأتي ببغلة، فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من عنقه، فكأنه عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثم قال : هذا أول الغدر .

قال محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس .

قال: ما هو إلا الرجاء، أين أمانكم ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون .

وبكى، فقال له عمرو بن عبيدالله بن عباس:

إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبكِ .

قال: إني والله، ما لنفسي أبكى، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين، إني أبكى لحسين وآل حسين .

ثم أقبل على محمد بن الأشعث، فقال :

يا عبد الله، إني أراك، والله، ستعجز عن أماني، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً، فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خرج غداً هو وأهل بيته، وإن ما ترى من جزعي لذلك، فيقول : إن ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن تمشى حتى تقتل، وهو يقول: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة، فانهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل . إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس

لمكذوب رأي .

فقال ابن الأشعث: والله، لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أني قد أمنتك.[1]

من الواضح أن أصل هذه الرواية هو الطبري، وعنه أخذها كل من ذكرها، بل نسخها عنه بألفاظها .

وهذه الرواية لا تختلف في جوهرها عن الروايات الموضوعة السابقة التي تحط من قدر مسلم، وتظهره شاباً حدث السن، لا خبرة له بالحرب، ويسهل خداعه، ولذلك غلبه ابن الأشعث بالخديعة حين عرض عليه الأمان فقبل واستسلم .

ولكن هناك رواية أخرى أوردها ابن الأعثم (٣١٤ هـ) في فتوحه بأسانيد متعددة عن ابن عباس وابن الحنفية والامام الصادق عليه السلام، ذكرها بطولها في كتابه، يبين فيها أنه لم يقبل بأمانهم، وقاتل حتى أثخن بالجراح ثم أخذ أسيراً، وجاء فيها:

ثم أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومي

١ـ ارشاد المفيد، ج٢، ص٥٧ . وتاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ . ومقاتل الطالبيين، ص ٦٢ .

أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة راجل من صناديد أصحابه .

قال: فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل .

قال: وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال فعلم أنه قد أتي في طلبه، فبادر رحمه اللّٰه إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصب عليه درعه، واعتجر بعمامة، وتقلد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب .

قال: فتبسم مسلم رحمه اللّٰه، ثم قال: يا نفس ! أخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا عنه محيد، ثم قال للمرأة: أي رحمك اللّٰه وجزاك عني خيرا ! اعلمي أنما أوتيت من قبل ابنك، ولكن افتحي الباب .

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسد مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة.

(وفي مناقب ابن شهراشوب: فقتل منهم واحداً واربعين رجلاً) .

و بلغ ذلك عبيد اللّٰه بن زياد، فأرسل إلى محمد بن الأشعث وقال: سبحان اللّٰه يا عبد اللّٰه ! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فأثلم في أصحابي ثلمة عظيمة. فأرسل إليه محمد بن الأشعث: أيها الأمير ! أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كف بطل همام، من آل خير الأنام. قال: فأرسل إليه عبيد اللّٰه بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنك لن تقدر عليه إلا بالأمان. فجعل محمد بن الأشعث يقول: ويحك يا بن عقيل ! لا تقتل نفسك، لك الأمان ! ومسلم بن عقيل يقول: لا حاجة إلى أمان الغدرة، ثم جعل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرا ولو وجدت الموت كأسا مرا

أكره أن أخدع أو أغرا كل امرئ يوما يلاقي شرا

أضربكم ولا أخاف ضرا

قال: فناداه محمد بن الأشعث وقال: ويحك يا بن عقيل ! إنك لا تكذب ولا تغر، القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك.

قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل رحمه اللّٰه إلى كلام ابن الأشعث وجعل يقاتل حتى أثخن بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا عليه فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة، فقال مسلم: ويلكم ! ما لكم ترمونني بالحجارة كما ترمى الكفار ! وأنا

من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ويلكم ! أما ترعون حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذريته .

قال: ثم حمل عليهم على ضعفه فكسرهم و فرقهم في الدروب، ثم رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك، فرجع القوم إليه فصاح بهم محمد بن الأشعث: ذروه حتى أكلمه بما يريد .

قال: ثم دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالته وقال: ويلك يا بن عقيل ! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي . فقال له مسلم: أتظن يا بن الأشعث أني أعطي بيدي أبداً وأنا أقدر على القتال ! لا والله لا كان ذلك أبدا ! ثم حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه . ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللهم ! إن العطش قد بلغ مني .

قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه . فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم ! إن هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة .

قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصده من أهل الكوفة رجل يقال له بكير بن حمران الأحمري، فاختلفا بضربتين

فضربه بكير ضربة على شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربة فسقط إلى الأرض قتيلاً .

قال: فطعن من ورائه طعنة فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه .

... ثم قال مسلم بن عقيل رحمه الله: ويحكم يا أهل الكوفة ! اسقوني شربة من ماء ! فأتاه غلام لعمرو بن حريث الباهلي بقلة فيها ماء وقدح فيها فناوله القلة، فكلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل رحمه الله من شرب الماء . قال: وأتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد .[1]

وروى المعنى عينه ابن شهراشوب (٥٨٨هـ) في مناقبه ، حيث جاء في روايته:

وطعن من خلفه فسقط من فرسه فأسر .[2]

وقريب منه الدينوري في أخباره، حيث قال :

فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل،

١ـ ابن الأعثم، كتاب الفتوح، ج٥، ص٥٣ وما بعدها .

٢ـ مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب ج٣، ص ٢٤٤ .

ففتحوها ، فقاتلهم، فرُمي، فكسر فوه، وأخذ ، فأتي ببغلة فركبها ، وصاروا به إلى ابن زياد .[1]

ومما يضعف رواية الطبري أن فيها تنافياً حيث ورد فيها أن مسلماً طلب من محمد بن الأشعث أن يرسل رسولاً الى الحسين، عليه السلام، يعلمه بما حصل مع مسلم . ولكن في رواية أخرى للطبري وغيره أنه طلب ذلك من عمر بن سعد في مجلس ابن زياد ، وأن سعداً نفذ ما أوصاه به . ومن غير المنطقي أن يكون مسلم قد أوصى الوصية عينها الى شخصين في اليوم نفسه، وكلاهما من انصار ابن زياد ، وعلى أقل التقادير إن يقال: لا حاجة لذلك . فلماذا يريق مسلم ماء وجهه بهذا الطلب مرتين من شخصين معروفين بالغدر والخيانة ؟

وسيأتيك نص الرواية .

• إدخال مسلم على ابن زياد

قالوا : وأقبل محمد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر فاستأذن فأذن له فأخبر عبيداللّه خبر ابن عقيل وضرب بكير

١ـ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٤٠ .

إياه، فقال: بُعداً له . فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال عبيدالله: ما أنت والأمان كأنّا أرسلناك تؤمنه ! إنما أرسلناك تأتينا به. فسكت .

وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب .

قال الطبري:

(قال أبو مخنف) فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عقيل حين انتهى إلى باب القصر فإذا قلة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عقيل: اسقوني من هذا الماء . فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها ؟ لا والله، لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم .

قال له ابن عقيل: ويحك، من أنت ؟

قال: أنا ابن من عرف الحق إذا أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت . أنا مسلم بن عمرو الباهلي .

فقال ابن عقيل: لأمك الثكل ما أجفاك وما أفظك وأقسى

قلبك وأغلظك ! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني .

ثم جلس متسانداً إلى حائط .

(قال أبو مخنف) فحدثني قدامة بن سعد أن عمرو بن حريث بعث غلاماً له يدعى سليمان فجاءه بماء في قلة فسقاه .

(قال أبو مخنف) وحدثني سعيد بن مدرك بن عمارة أن عمارة بن عقبة بعث غلاماً له يدعى قيساً ، فجاءه بقلة عليها منديل، ومعه قدح، فصب فيه ماء، ثم سقاه، فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً ، فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيتاه فيه، فقال: الحمد للّه لو كان لي من الرزق المقسوم شربته .

وأدخل مسلم على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة . فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير ؟ فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه .

فقال له ابن زياد : لعمري لتقتلن .

قال: كذلك ؟

قال: نعم .

قال: فدعني أوص إلى بعض قومي .

فنظر إلى جلساء عبيدالله وفيهم عمر بن سعد فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة، ولي اليك حاجة، وقد يجب لي عليك نجح حاجتي، وهو سر . فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيدالله: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك .

فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد فقال له: إن علي بالكوفة دينا استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم، فاقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى حسين من يرده فإني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً .

فقال عمر لابن زياد: أتدرى ما قال لي ؟ إنه ذكر كذا وكذا .

قال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن . أما مالك فهو لك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه، وأما جثته فإنا لن نشفعك فيها، إنه ليس بأهل منا

لذلك، قد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا .

وزعموا أنه قال: أما جئته فانا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها.[1]

وهذه الرواية وإن كانت لا تخلو من بعض المناقشات، بل يترجح لدينا كفة الوضع فيها، ولا أقل من التحريف، إلا أننا نضرب عنها صفحاً توخياً للاختصار والتركيز على الأهم إذ لا كثير فائدة في إنفاق الوقت عليها .

• حوار بين مسلم وابن زياد

قالوا: ثم إن ابن زياد قال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتُهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض ؟

قال: كلا لست أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب .

قال: وما أنت وذاك يا فاسق، أو لم نكن نعمل بذاك فيهم

١ـ ارشاد المفيد، ج٢، ص٦١ . وتاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٨٢ .

إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟

قال: أنا أشرب الخمر ؟ والله، إن الله ليعلم إنك غير صادق. وإنك قلت بغير علم . وإني لست كما ذكرت . وإن أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التى حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً .

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله .

قال: فمن أهله يا ابن زياد ؟

قال: أمير المؤمنين يزيد .

فقال: الحمد لله . على كل حال رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم .

قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً ؟

قال: والله، ما هو بالظن، ولكنه اليقين .

قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام .

قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك .

وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه .[1]

هذه الرواية، بغض النظر عن إسنادها، تتناسب تماماً مع شخصية مسلم بن عقيل، من حيث الجرأة والشجاعة والفصاحة وحسن الإجابة وحضور الذهن رغم كثرة الجراح والموقف الصعب .

- **شهادة مسلم رضوان الله عليه**

ثم قال ابن زياد: أين هذا الذى ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه ؟

فدعي، فقال: اصعد فكن أنت الذى تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو

١ـ ارشاد المفيد، مصدر سابق، ج٢، ص٦٢ . وتاريخ الطبري، ج٤، ص٢٨٣ . والبداية والنهاية، ابن كثير، ج٨، ص١٦٨ .

يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا .

واشرف به على موضع الجزارين[1] اليوم، فضُربت عنقه وأتبع جسده رأسه .[2]

(قال أبو مخنف) حدثني الصقعب بن زهير عن عوف بن أبي جحيفة قال نزل الاحمري بكير بن حمران الذى قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتلته ؟ قال: نعم . قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به ؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر، فلما أدنيته لاقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا . فقلت له: ادنُ مني . الحمد لله الذى اقادني منك . فضربته ضربة لم تغن شيئاً فقال: أما ترى في خدش تخدشنيه وفاء من دمك أيها العبد ؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت ؟ قال: ثم ضربته الثانية فقتلته .

- وقفة مع هذه الرواية

تنقسم هذه الرواية الى قسمين :

- القسم الأول ينتهي عند قول الراوي: لم تغن شيئاً .

---

١. في الإرشاد ومقاتل الطالبيين ومناقب آل ابي طالب: الحذائين .

٢. تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٨٣ . والمراجع المشار اليها في الهامش السابق .

وهـذا القسـم لـيس فيـه مـا يريـب، ومطـابق لمـا روي في غيرها.

- القسم الثاني يشتمل على زيادة وهي قوله: (أما ترى في خدش ... الخ) وفي هذاالقسم من الرواية من الطعن على مسلم مما لا يخفى على المتتبع، فالواضع يريد ان يحط من قدر الهاشميين في أعين الناس، ويغمز من قناتهم بالإيحاء بأنهم متكبرون وعنصريون وشعوبيون، بحيث لا يتركـون الفخـر علـى الآخـرين حتـى عنـد المـوت، خصوصـاً بملاحظـة أن بكـير بـن حمـران كـان جنـدياً فارسياً عند ابن زياد .

ثم للعاقل أن يتساءل: ما كان أغنى مسلماً عن مثل ذلك الكلام في تلك اللحظات .

نعـم، لقـد تم الخلـط في هـذه الروايـة بـين الحـق والباطـل بإضافة هـذه الجملـة إليهـا، ليضـيع الحـق علـى النـاس . والله المستعان .

شهادة هانئ بن عروة

قالوا: وقام محمد بن الأشعث إلى عبيدالله بن زياد فكلمه في هانئ بن عروة، وقال:

إنك قد عرفت منزلة هانئ بن عروة في المصر وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أني وصاحبي سقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته لي فإني أكره عداوة قومه، هم أعز أهل المصر وعدد أهل اليمن .

قال: فوعده أن يفعل، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان بدا له فيه، وأبى أن يفي له بما قال .

قال: فأمر بهانئ بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه .

قال: فأخرج بهانئ حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف فجعل يقول: وامذحجاه، ولا مذحج

لي اليوم . وامذحجاه، وأين مني مذحج ؟

فلما رأى ان أحداً لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف، ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش[1] به رجل عن نفسه .

قال: ووثبوا إليه فشدوه وثاقاً، ثم قيل له: امدد عنقك . فقال: ما أنا بها مجد سخي وما أنا بمعينكم على نفسي .

قال: فضربه مولى لعبيد اللّه بن زياد تركي، يقال له: رشيد . بالسيف فلم يصنع سيفه شيئاً .

فقال هانئ: إلى اللّه المعاد . اللهم إلى رحمتك ورضوانك ثم ضربه أخرى فقتله .

قال فبصر به عبد الرحن بن الحصين المرادي بخازر وهو مع عبيداللّه بن زياد فقال الناس: هذا قاتل هانئ بن عروة . فقال ابن الحصين : قتلني اللّه إن لم أقتله أو أقتل دونه . فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله .[2]

هذه الرواية تطرح التساؤل الشهير، وهو: هل قتل هانئ بن

١ـ يجاحش، أي يدفع الناس عنه .

٢ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٨٤ .

عروة في السوق أم في القصر ؟

بحسب ما مر معنا فإن بعض المرويات كانت تؤكد أنه قتل في القصر من ساعته، ولم يستبقَ حياً الى ما بعد مقتل ابن عقيل، لعدم الفائدة في ذلك، بل يوجد ضرر من بقائه حياً، من قبيل وصول الخبر الى قومه، ودخول بعض المذحجيين لتخليصه، وهذا ما يعتبر طعنة قوية لسياسة ابن زياد . فكان من الضروري في نظره التخلص من ابن عروة بأسرع ما يمكن .

ومر أيضاً أن في بعض المرويات أنه حبسه في غرفة بعدما ضربه على وجهه وأدماه . وعليه فكلا الأمرين مرويان .

ولكننا كما تقدم رجحنا رواية ابن سعد التي جاء فيها :

فوثب إليه عبيد الله بالعنزة حتى غرز رأسه بالحائط .[1]

ما يعني أنه قتله من ساعته .

ومما يضعف رواية مقتل هانئ في السوق أن قتله أمام الناس في مدينة تعج بأنصاره ومواليه واقربائه وأولاده وبني عشيرته، وهو كبيرهم وزعيمهم، دون أن يحرك أي منهم ساكناً، ولا

١ـ سير اعلام النبلاء، الذهبي، ج٣، ص ٢٩٩ . والذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤، ص١٧٠ .

يرفع صوتاً ، ولا يحاول الدفاع عنه أو يحاول الحؤول بينه وبين قاتله على الأقل، فيه من الطعن بمذحج ومراد وسائر أهل الكوفة ما لا يمكن القبول به .

بل إن أمر ابن زياد بقتل هانئ بهذه الطريقة فيه مخاطرة كبيرة من شأنها تحويل الصراع الى صراع قبلي وإعادة النفخ في النار من جديد بعدما تخلص من عدوه مسلم . وهذا ما يستبعد صدوره من ابن زياد البتة .

وهنا يتغير السؤال ليصبح: إذن، ما الفائدة من وضع رواية مقتل هانئ في السوق ؟

الفائدة الوحيدة هي إظهار قوة ابن زياد وضعف عشيرة هانئ وعموم أهل الكوفة لإخافة الناس وإيصال الخبر الى الحسين (ع) عسى أن يكون ذلك داعيا له للرجوع عما هو مقدم عليه .

ولذلك نجد أن أحد الذين خرجوا من الكوفة والتقوا بالحسين (ع) في الطريق سرب خبر مقتل ابن هانئ في السوق .

ففي الطبري:

(قال أبو مخنف) حدثني أبو جناب الكلبي عن عدى بن

حرملـة الأسـدي عـن عبـد اللّه بـن سـليم والمـذري بـن المشـمل الأسـديين قـالا : لما قضينا حجنـا لم يكـن لنـا همـة (الا) اللحـاق بالحسين في الطريق لننظـر مـا يكـون مـن أمـره وشـأنه، فأقبلنـا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود، فلمـا دنونـا منـه إذا نحـن برجـل مـن أهـل الكوفـة قـد عـدل عـن الطريـق حـين رأى الحسـين . قـالا : فوقـف الحسـين كـأنـه يريـده ثـم تركـه ومضـى ومضـينا نحـوه . فقـال أحـدنا لصـاحبه: اذهـب بنـا إلى هـذا فلنسـأله، فـإن كـان عنـده خبـر الكوفـة علمنـاه . فمضينا حتـى انتهينا إليه فقلنا : السلام عليـك . قـال: وعليكـم السـلام ورحمـة اللّه . ثم قلنا : فمن الرجل ؟ قال: أسدي . فقلنا : فنحن أسـديان . فمـن أنـت ؟ قـال: أنـا بكـير بـن المثعبـة . فانتسـبنا لـه، ثـم قلنـا : أخبرنا عن النـاس وراءك .

قال: نعم، لم أخـرج مـن الكوفـة حتـى قتـل مسـلم بـن عقيـل وهانئ بن عروة، فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق .

قـالا : فأقبلنـا حتـى لحقنـا بالحسـين فسـايرناه حتـى نـزل الثعلبيـة ممسياه، فجئنـاه حـين نـزل فسـلمنا عليـه، فـرد علينـا ، فقلنا له: يرحمك اللّه، إن عنـدنا خبـراً فـإن شـئت حـدثنا علانيـة وإن شـئت سـراً . قـال : فنظـر إلى أصـحابه وقـال: مـا دون هـؤلاء

سر .

فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس ؟ قال: نعم . وقد أردت مسألته .

فقلنا: قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو ابن امرئ من أسد منا ذو رأى وصدق وفضل وعقل . إنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، وحتى رآهما يجران في السوق بأرجلهما .

فقال: إنا للّه وإنا إليه راجعون . رحمة اللّه عليهما . فردد ذلك مرارا .[1]

وفي انساب البلاذري:

ولقي الحسين ومن معه رجل يقال له: بكر بن المعنقة بن رود فأخبرهم بمقتل مسلم بن عقيل وهانئ وقال: رأيتهما يجرّان بأرجلهما في السوق .[2]

ويظهر اضطراب هذه الرواية من جهتين:

١ـ تاريخ الطبري، ج٤ ، ص ٢٩٩ .

٢ـ انساب البلاذري، ج٣، ص١٦٨ .

١. جهة اسم المخبر ومجهوليته وتفرده بالخبر ، إذ لم ينقل عن غيره .

٢. الجهة المخبرة ، إذ تارة هما الأسديان وأخرى الحسين ومَنَ معه .

وهذا الاضطراب يشي بضعفها أو على الأقل عدم دقة النقل فيها .

ثم على فرض صحتها ودقتها ، فإنها لا تدل على أن هانئاً قُتل في السوق، بل لا تدل على أكثر من أن هانئاً ومسلماً جرا في السوق بارجلهما ، وربما يكون ابن زياد أمر بجثتي مسلم وهانئ فجرتا بالسوق بعد مقتل كل منهما .

وهذا المعنى (اي القتل في القصر، ثم الجر في السوق) هو الذي يظهر من قول الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي:

إذا كنت لا تدرين من الموت فانظري

إلى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشّم السيف وجهه

وآخر يهوي من طمار قتيل[1]

١. مقاتل الطالبيين، ص ٧٢ .

فإن الأول وهو هانئ هشم السيف وجهه، وذلك بالقصر كما مر، والآخر هو مسلم رُمي من اعلى القصر فهوى قتيلاً .

- **إرسال الرأسين الى يزيد**

ولما قتل مسلم وهانئ ـ رحمة اللّه عليهما ـ بعث عبيداللّه بن زياد برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي إلى يزيد ابن معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب إلى يزيد بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب الكاتب ـ وهو عمرو بن نافع ـ فأطال، وكان أول من أطال في الكتب، فلما نظر فيه عبيداللّه كرهه وقال: ما هذا التطويل ؟ وما هذه الفصول؟ اكتب: أما بعد: فالحمد للّه الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتى استخرجتهما، وأمكن اللّه منهما، فقدمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمرهما، فإن عندهما علما وصدقا

وورعا ، والسلام .

فكتب إليه يزيد : أما بعد : فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما ، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيرا ، وإنه قد بلغني أن حسينا قد توجه إلى العراق فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنة واقتل على التهمة ، واكتب إلي فيما يحدث من خبر إن شاء الله .[1]

- **<u>تاريخ شهاد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه</u>**

الأقوال في يوم شهادة مسلم ـ عليه السلام ـ ثلاثة :

- <u>الأول:</u> يوم الثالث من ذي الحجة سنة ستين؛ نص عليه أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال ص٢٤٢ ، ويظهر من ابن طاووس الموافقة له فإنه قال في اللهوف ص٣٣ طبعة صيدا : توجه الحسين من مكة يوم الثلاثاء لثلاث مضين من ذي الحجة ، وقال بعد ذلك : كان خروجه من مكة في اليوم

١ـ الارشاد ، الشيخ المفيد ، ج ٢ ، ص ٦٥ . ومثير الأحزان، ابن نما الحلي، ص ٢٦ .

الذي قتل فيه مسلم.

- الثاني: يوم الثامن من ذي الحجة ؛ قال بن الوطواط في غرر الخصائص ص٢١٠ وهو الظاهر من تذكرة الخواص ص١٣٩ وتاريخ أبي الفدا ج١ ص١٩٠ قالا: قتل مسلم لثمان مضين من ذي الحجة، وتذكير العدد يراد منه الليلة لنص أهل العربية أن العدد يذكّر مع المؤنث ويؤنّث مع المذكّر.

- الثالث: يوم عرفة؛ نص عليه المفيد في الإرشاد، والكفعمي في المصباح، والمجلسي في مزار البحار ص٩٩ وهو الظاهر من ابن نما في مثير الأحزان، وتاريخ الطبري ج٦ ص٢١٥، ومروج الذهب ج٢ ص٩٠ . قالوا: وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثامن من ذي الحجة والمفروض أنه قُتل في ثاني يوم خروجه.

وحكى المسعودي قولا في مروج الذهب أنه خرج يوم التاسع من ذي الحجة واذا كان قتله في ثاني يوم خروجه تكون شهادته يوم الأضحى.

وعلى كل فمدة بقائه بالكوفة أربع وستين يوما تقريبا، لأنه كما مر عليك دخل الكوفة في الخامس من شهر الشوال.

الفصل الحادي عشر

أين اختفى أنصار مسلم

لك عزيزي القارئ حق التساؤل :

أين ذهب أنصار مسلم الأساسيون ؟

أين اختفوا ، لماذا لم يخرجوا معه ولم يبقوا معه ذلك اليوم ؟

وكيف اتفق أن بقي وحده في أزقة الكوفة ، وليس معه أحد منهم ؟

ونحن إذا ساءلنا التاريخ وكتب السير عنهم قد لا نجد الكثير من المعلومات حولهم ، فلا بد لنا أن نتسقط أخبارهم من هنا وهناك .

من هنا سنفرد هذا الفصل لتتبع كل واحد منهم، والوقوف على حقيقة موقفه ومصيره .

• قائمة بأبرز الشخصيات التي ظهرت في سيرة مسلم

١. عبد الأعلى بن يزيد الكلبى
٢. عمارة بن صلخب الازدي
٣. عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندى
٤. المختاربن أبي عبيد الثقفي
٥. عبد اللّه بن الحارث بن نوفل
٦. هانئ بن عروة المرادي
٧. حبيب بن مظاهر الفقعسي الأسدي
٨. مسلم بن عوسجة الأسدي
٩. ابي ثمامة عمر بن عبداللّه الصائدي
١٠. عبد الرحمن بن عبد الله الارحبي
١١. سعد (سعيد) بن عبداللّه الحنفي
١٢. سليمان بن صرد الخزاعي
١٣. المسيب بن نجبة الفزاري
١٤. رفاعة بن شداد البجلي
١٥. عبدالله بن وال التيمي

١٦. عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي

١٧. عباس بن جعدة الجدلي

١٨. عابس بن شبيب الشاكري

١٩. قيس بن مسهر الصيداوي

٢٠. ابراهيم بن مالك الأشتر النخعي

٢١. عبد الرحمن بن شريح الشبامى

٢٢. عبد الله بن حازم البكري (الكبري) الأزدي

٢٣. هاني بن هاني السبيعي

٢٤. عمارة بن عبد السلولي

من المعلوم أن ابن زياد خطب الناس بعد تفرق أصحاب مسلم بن عقيل، كما جاء في الإرشاد ومقاتل الطالبيين وغيرهما ، فقال :

أما بعد: فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد اتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق . فبرئت ذمة الله من رجل وجد في داره . ومن جاء به فله ديته . اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً .

يا حصين بن تميم، ثكلتك أمك إن ضاع شيء من سكك الكوفة أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به . وقد سلطتك على

دور أهل الكوفة . فابعث مراصدة على أفواه السكك . وأصبح غداً فاستبرء الدور وجس خلالها حتى تأتي بهذا الرجل . ثم نزل.[1]

إن هذا النص يشتمل على ثلاثة إجراءات تعرف بإعلان حالة طوارئ عسكرية . وهي:

-**أولاً** : وضع الكوفة تحت نظام منع التجول ليلاً ونهاراً بحيث لا يسمح لأحد بالتجول إلا من كان في مهمة من قبل حصين أو من هو مثله من قادة الألوية التابعة لابن زياد . ومن هنا سيتم إلقاء القبض على كل من يتحرك في سكك الكوفة بدون إذن مسبق، ويرمى به في السجن الى أن يعرض على ابن زياد شخصياً ليرى فيه رأيه، فإما السجن الى أن تنتهي حالة الطوارئ وإما القتل مباشرة .

وقد تقدم أن ابن زياد أمر كثير بن شهاب أن يخرج بمن أطاعه من مذحج ليخذل الناس عن مسلم بن عقيل، ويأتيه بمن يجده من أنصار مسلم بن عقيل .

جاء في الطبري عن أبي مخنف:

١ـ الارشاد ، ج٢ ، ص٥٧ . ومقاتل الطالبيين، ص ٦٨ .

حدثني ابن جناب الكلبي أن كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال (أي عبد الأعلى) لابن زياد: إنما أردتك. قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟ فأمر به فحبس.[1]

ثم قال الطبري بعد عدة صفحات:

ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان فأتى به، فقال له: أخبرني بأمرك. فقال: أصلحك الله، خرجت لأنظر ما يصنع الناس، فأخذني كثير بن شهاب. فقال له: فعليك وعليك من الأيمان المغلظة إن كان أخرجك إلا ما زعمت. فأبى أن يحلف.

فقال عبيد الله انطلقوا بهذا إلى جبانة السبع، فاضربوا عنقه بها.

قال: فانطلق به فضربت عنقه.[2]

---

١. تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٧٦.

٢. المصدر السابق، ص ٢٨٤.

وقد حصل الأمر عينه لشخص آخر هو عمارة بن صلخب الأزدي . قال الطبري:

وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه .[1]

ثم بعد عدة صفحات قال الطبري:

وأخرج عمارة ابن صلخب الأزدي، وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره، فأتي به أيضاً عبيد الله، فقال له: ممن أنت ؟ قال: من الأزد . قال: انطلقوا به إلى قومه فضربت عنقه فيهم .[2]

وإضاف اليهما بعض المؤلفين عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي إذ ذكره في عداد من قتلهم ابن زياد بعد حبسهم .[3]

فهذه ثلاث شخصيات تم حبسهم ثم قتلهم .

١ـ المصدر السابق، ص ٢٧٦ .

٢ـ المصدر السابق، ص ٢٨٥ .

٣ـ التميمي، محمد علي جعفر، مدينة النجف، ص ١٢٦ . والسيد البراقي، تاريخ الكوفة، ص ٣٣٣ .

وإنما أوردنا ذكرهم هنا ليعلم حال الكثيرين ممن لم يأتِ التاريخ على ذكرهم .

- **ثانياً** : إغلاق أبواب الكوفة لمنع الدخول والخروج بهدف التضييق على أصحاب مسلم وأنصاره، وبهدف منعه شخصياً من الخروج من الكوفة للالتحاق بركب الحسين (ع)، ومن الواضح أن هدفه كان أسر مسلم وقتله ليبعث بذلك رسالة واضحة الى الحسين (ع) وأنصاره يخوفهم فيها من المصير الذي ينتظرهم .

من هنا نرى أن كثيراً ممن التحقوا بالحسين (ع) خرجوا من الكوفة بطرق ملتوية أو خفية أو من غير الأبواب الرئيسية، كما ستأتي الإشارة اليه .

- **ثالثاً** : تنفيذ عمليات مداهمة لكل الدور التي يحتمل أن يوجد فيها مسلم أو أحد من أنصاره، ولازم ذلك تخفي الجميع عن الأعين، والابتعاد عن الدور واتخاذ البساتين والآجام مخبئاً لهم ريثما يتضح تكليفهم، وتتاح لهم الفرصة للالتحاق بمسلم أو بالحسين عليه السلام .

وهنا لنا تعليقان :

- الأول: أن هذه الاجراءات كانت ناجعة جداً في مواجهة أهل الكوفة حيث أرعبتهم، وجعلتهم ينكفؤون عن نصرة مسلم بن عقيل، وبات كل فرد منهم منشغلاً بنفسه، كيف ينقذها من ايدي هؤلاء الطواغيت ؟ وهذا أمر لم يكن قد خطط له مسلم وأصحابه، بل لم يكن هناك اتفاق بين الافراد والقيادة لمواجهة مثل هذا الأمر المفاجئ كتعيين مكان معين يلتقون فيه أو يلجأون إليه في حالة الطوارئ .

- الثاني: أن هذه الاجراءات لم يكن لها أن تنجح لولا وجود أعداد كبيرة نسبياً مع أصحاب الألوية كمحمد بن الأشعث وكثير بن شهاب والحصين بن نمير وغيرهم. إذ من الواضح والمؤكد أن تطبيق هذه الإجراءات يحتاج الى إعداد كبيرة من الجند ، وهذا أمر كنا قد أشرنا إليه سابقاً وأيدناه بالقرائن .

وليس الأمر مقتصراً على عدم وجود خطة طوارئ لمواجهة هذه الحالة، بل يتعداها الى ما عُرف لاحقاً بضرورة تقديم وقت الخروج، فإن قتل هانئ أربك الساحة وجعل مسلماً يقدِّم وقت الخروج، ما جعل كثيراً من أصحابه القادة غير متوفرين حين

المعركة لكونهم خارجها، فاحتاج أمر وصولهم الى الكوفة لساعات وربما أكثر، كما حصل مع المختار الثقفي الذي كان خارج الكوفة، وما أن علم بخروج مسلم بن عقيل حتى نهض بمن معه، إلا أن جماعة ابن زياد ألقت القبض عليه وعلى من معه، وأتوا بهم الى ابن زياد .

وقد كان ابن زياد قد أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً، فأتي بهما فحبسا .[1]

قال الطبري:

خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بخطرنية تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة، فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه . إنما خرج حين قيل له إن هانئ بن عروة المرادي قد ضرب وحبس . فأقبل المختار في موال له حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب وقد عقد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حريث راية على جميع الناس وأمره أن يقعد لهم في المسجد .[2]

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٨٦ .

٢ـ المصدر السابق، ج٤، ص ٤٤٢ .

وقال في موضع آخر:

فلما ارتفع النهار فتح بابُ عبيد اللّه بن زياد وأذن للناس، فدخل المختار فيمن دخل، فدعاه عبيد اللّه فقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل ؟

فقال له: لم أفعل، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبت معه وأصبحت .

فقال له عمرو: صدق، أصلحك اللّه .

قال : فرفع (ابن زياد) القضيب فاعترض به وجه المختار، فحبط به عينه فشترها. وقال: أولى لك . أما واللّه لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك . انطلقوا به إلى السجن . فانطلقوا به إلى السجن فحبس فيه، فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين.[1]

وذكر ابو مخنف أن عبداللّه بن الحارث بن نوفل خرج مع المختار لنصرة مسلم فلم يدركاه، قال :

إن المختار بن أبي عبيد وعبد اللّه بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد اللّه

١ـ المصدر السابق .

براية حمراء وعليه ثياب حمر ... وأن عبيد الله أمر ان يطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً فأتى بهما فحبسا ..[1]

جاء في ذوب النضار:

فكتب المختار إلى أخته صفية بنت أبي عبيدة، وكانت زوجة عبد الله بن عمر، تسأله مكاتبة يزيد بن معاوية فكتب إليه، فقال يزيد: نشفّع أبا عبد الرحمان . وكلمته هند بنت أبي سفيان في عبد الله بن الحارث، وهي خالته، فكتب إلى عبيد الله بن زياد، فأطلقهما بعد أن أجَّل المختار ثلاثة أيام ليخرج من الكوفة، وإن تأخر عنها ضرب عنقه. فخرج هارباً نحو الحجاز .[2]

أما هانئ بن عروة فقد مر فيه الحديث مفصلاً، وأنه قُتل قبل خروج مسلم .

أما حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة فلا شك في ولائهما وإخلاصهما، فهما من شهداء كربلاء . ما يعني أنهما استطاعا

١ـ ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٦١ .

٢ـ الحلي، ابن نما، ذوب النضار، ص٦٩ .

أن يخرجا من الكوفة خلسة، أو أنهما تخفيا الى أن خفت حدة الطلب فخرجا للقاء أبي عبد الله بعدما قُتل مسلم بن عقيل .

فمسلم بن عوسجة كان قيماً على أموال حركة مسلم بن عقيل، كما كان أحد أصحاب الألوية التي عقدها مسلم بن عقيل كما تقدم .

وأما حبيب فقد كان ممن راسلوا الامام الحسين (ع)، حيث ورد اسمه في بعض الرسائل، كما كان من مستقبلي مسلم بن عقيل، والمتحدثين بين يديه، قال الطبري: لما ورد مسلم بن عقيل الكوفة، ونزل دار المختار بن أبي عبيد، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فقام عابس بن شبيب الشاكري فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه: والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله . فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال: رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا

عليه » .[1]

وجزم الشيخ السماوي في إبصار العين بأنهما كان معاً في اخذ البيعة لمسلم بن عقيل . قال :

وجعل حبيب ومسلم يأخذان البيعة للحسين (عليه السلام) في الكوفة، حتى إذا دخلها عبيد الله بن زياد وخذّل أهلها عن مسلم وتفرق أنصاره حبسهما عشائرهما وأخفياهما، فلما ورد الحسين كربلاء خرجا إليه مختفيين يسيران الليل ويكمنان النهار حتى وصلا إليه » .[2]

لكننا لم نجد ذلك في مصدر .

أما عن مكانهما حين خروج مسلم بن عقيل فالظاهر، والله العالم أنهما تأخرا عن مسلم قليلاً حين خروجه من المسجد، فأضاعوا أثره في تلك العتمة في أزقة الكوفة، ولم يكن لهما أن يبحثا عنه علانية حذراً من إلقاء القبض عليهما، فلم يجدا بداً من الاختباء الى الصباح ليظهر لهما الأمر، ولكنهما علما أن مسلماً أسر، بل قتل . لذا كان عليهما

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٦٤ . وابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٢٠ .

٢ـ السماوي، إبصار العين، ص١٠٢ .

الخروج من الكوفة واللحاق بركب أبي عبد اللّه (ع) .

وما أورده بعضهم من أن مسلم بن عقيل كان يرسل الأفراد الجاهزين للمواجهة لملاقاة ابي عبد اللّه الحسين عليه السلام في طريقه الى الكوفة، وكان منهم حبيب وجماعة[1]، فلا يمكن القبول به، لأنه أولاً لا دليل عليه، وثانياً أن مسلم بن عوسجة كان مع مسلم بن عقيل حين خروجه وصاحب إحدى الرايات ومع ذلك التحق بالامام الحسين دون الحاجة لإخلاء الساحة وترك مسلم بن عقيل في مواجهة ابن زياد قبل أن تؤتي السفارة أكلها .

وما يقال في مسلم وحبيب يقال في سائر شهداء كربلاء أمثال أبي ثمامة الصائدي وعبد الرحمن بن عبد اللّه الأرحبي وسعد (سعيد) بن عبداللّه الحنفي .

وأما سليمان بن صُرد فلم يذكر التاريخ خبراً له، والمرجح أنه سجن أيضاً أو أنه بقي متخفياً من عيون ابن زياد الى أن فات أوان النصرة .

ولو كان لسليمان أي قول أو موقف إيجابي أو سلبي لما

١ـ محمد، عبير عبد الرسول، سفير الامام الحسين، ص ٣٨ .

خفي على المتتبع، فهو الذي له صحبة مع رسول اللّٰه (ص)، وكان من المقربين من علي بن ابي طالب (ع)، وشارك معه في حروبه، ثم قاد ثورة التوابين حتى قتل فيها وله من العمر ٩٣ سنة .

وممن يلحق بسليمان أربع شخصيات بارزة، وردت في القائمة أعلاه، وهم المسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد و عبداللّٰه بن وال التيمي وعبداللّٰه بن سعد بن نفيل الأزدي، وذلك أنهم من رجاله، وكانوا معه في مختلف مواقفه ومن قادة ثورة التوابين، حتى قتل بعضهم معه في عين وردة . فما يقال فيه يقال فيهم، ولا أستبعد كونهم معه في مكان واحد يوم خروج مسلم بن عقيل .

وأما عباس بن جعدة الجدلي فقد ذكر الشاهرودي في مستدركاته أنه «لما تخاذل الناس عن مسلم ، أمر ابن زياد بالقبض عليه وحبسه . ثم بعد شهادة مسلم، قُتل شهيداً»[1]، إلا أنه لم يذكر مصدراً لذلك . وذكر جماعة[2] غيره مصدراً لهذا الخبر، وهو مقتل الحسين لأبي مخنف لوط بن يحي، ولكننا

١ـ النمازي الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث ج٤، ص٣٤٢ .

٢ـ السيد البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٣٥ .

لم نجده فيه، ولا في تاريخ الطبري .

نعم، ورد لعباس بن جعدة الجدلي ذكرٌ مع المختار الثقفي حين خروجه .

جاء في تاريخ الطبري في معرض ذكر ما حصل بين المختار وابن الزبير:

وأقبل عباس بن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه فجعل على ميمنته سلمان بن حمير الثوري من همدان وعلى ميسرته عياش بن جعدة الجدلي .[1]

ويحتمل قوياً أن عياش هذا هو عباس بن جعدة الجدلي تم تصحيف اسمه باضافة النقاط الى الباء والسين، خصوصاً وأن ابن الأثير ذكر الحادثة عينها في الكامل باسم عباس بدون تصحيف[2] .

وعليه يكون عباس قد نهض مع المختار وقتل معه، ولعل هذا هو المراد من قول الشاهرودي آنفاً: قتل شهيداً .

١ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص ٥٤٢ .

٢ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٤٨ . ومثله فعل النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢١، ص٣٧ ،

وأما عابس بن شبيب الشاكري فقد كان خرج من الكوفة برسالة من مسلم الى الحسين، وعاد مع ركب الحسين، ثم علم بمقتل مسلم في الطريق، وبقي مع الحسين حتى استشهد . وقصة شهادته معه معروفة .

جاء في مثير الأحزان:

وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام كتاباً:

أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله وان جميع أهل الكوفة معك ، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً . فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته . وحمله مع عابس بن أبي شبيب الشاكري وقيس بن مسهر الصيداوي .[1]

وأما قيس بن مسهر الصيداوي فقد كان مع الحسين (ع) مبعوثاً من قبل مسلم بكتابه إليه هو وعابس كماتقدم آنفاً ، فبعثه الحسين (ع) بكتاب جوابي الى مسلم ، ولم يكن يعلم بما جرى له . جاء في الإرشاد:

فأقبل قيس بن مسهر إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير،

١ـ ابن نما ، مثير الأحزان، ص٢١ .

فأنفذه إلى عبيد اللّه بن زياد ، فقال له عبيد اللّه: اصعد فسب الكذاب الحسين بن علي .

فصعد قيس فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال

أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق اللّه ابن فاطمة بنت رسول اللّه . وأنا رسوله إليكم فأجيبوه . ثم لعن عبيد اللّه بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب عليه السلام وصلى عليه .

فأمر به عبيد اللّه أن يرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطع .[1]

وأما إبراهيم بن مالك الأشتر فلم يعرف عنه شيء وقت خروج مسلم، ولم يذكره التاريخ بخير ولا بشر، ولم يظهر له ذكرٌ إلا عند خروج المختار، حيث خرج معه وكان قائد جنده، ولكنه عدل بعد مقتل المختار الى مصعب بن الزبير، وقاتل معه بني أمية، حتى قتلا معا في معركة مسكن عام ٧١هـ .

قال الشيخ الكوراني :

١ـ ارشاد المفيد، ج٢، ص٧١ .

ولعل إبراهيم كان في سجن عبيد الله بن زياد عندما قتل الحسين (عليه السلام)، مع كثيرين حبسهم ابن زياد .[1]

ولا يخفى أن ابراهيم بن مالك كان كيسانياً يقول بإمامة محمد بن الحنفية، ولم يخرج مع المختار إلا بعد أن جاءه بكتاب من محمد بن الحنفية يأمره بذلك .

وأما عبد الرحمن بن شريح الشبامي فقد كان يقاتل مع مسلم بن عقيل حين خروجه على ابن زياد، جاء في تاريخ الطبري:

فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحى ويتأخر ...[2]

ولم يعرف خبره بعد ذلك، إلا أن المؤكد أنه لم يُقتل مع مسلم ، حيث ذكر له اسم مع المختار الثقفي في موضعين:

-الأول أنه كان ضمن الأشخاص الذين ذهبوا الى محمد بن الحنفية يستعلمون صدق المختار في ما زعمه من أنه

١ـ الكوراني، علي، سلسلة القبائل العربية في العراق، قبيلة النخع، ج١٠، ص٨١ .

٢ـ تاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٧٦.

مأذون له بالخروج من قبل ابن الحنفية .

جاء في أنساب الأشراف :

خرج عبد الرحمن بن شريح الشبامي، والأسود بن جراد الكندي، وسعر بن أبي سعر الحنفي في عدّة معهم إلى ابن الحنفيّة، فلما لقوه قال عبد الرحمن: إنّكم أهل بيت قد خصّكم اللّه بالفضيلة، وشرّفكم بالنبوّة، وعظم حقّكم على الأمّة فلا يجهله إلا غبين الرأي مخسوس الحظّ، وقد أصبتم بحسين رحمه اللّه، وأتانا المختار بن أبي عبيد يزعم أنه جاء من تلقائك يطلب بدمه، فمرنا بأمرك ...[1]

-والثاني: أنه تولى مسؤولية بيت مال المختار .

قال البلاذري :

فلما رأى المختار ذلك وجّه إلى كل خمس من أخماس أهل البصرة رجلاً ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ صاحب ميسرته وإلى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر بن الجارود عبد الرحمن بن شريح الشبامي من همدان، وكان على بيت

١ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٤ .

ماله ... [1]

فلا بد أنه سجن من قبل ابن زياد ، أو فقد أثر مسلم بن عقيل بعد خروجه من المسجد كما حصل لكثيرين، ولم يتمكن من اللحاق به، كما لم يتمكن من اللحاق بالامام الحسين (ع) للقتال بين يديه .

وأما عبد اللّه بن حازم البكري (الكبري من بني كبير)[2] فهو رسول ابن عقيل الى قصر ابن زياد ، وهو من روى رواية عقد مسلم لألويته حين خروجه، وقد أسلفنا ذكر الروايتين، وبقي معه حين خروجه الى صلاة المغرب، ثم لم يرد له ذِكرٌ بعد ذلك.

وقد ذكر بعضهم أن ابن حازم خرج مع ثورة التوابين طالباً بثأر الأمام الحسين (ع) .[3]

وأما الأخيران وهما هاني بن هاني السبيعي وعمارة بن عبد السلولي فلم يرد لهما ذكر سوى في حمل الكتب والرسائل .

١ـ المصدر السابق، ص٤٣٧.

٢ـ مقتل الحسين، ابي مخنف، ص ٤٤ .

٣ـ راجع: الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج٤، ص ٥٠٩ .

والله أعلم بحالهما .

وخلاصة القول: هناك ثلاثة أمور لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار :

- الأول: أن بعض من كان مع مسلم بن عقيل يوم خروجه أصيب فجرح أو قتل في المناوشات التي دارت يومئذ بين الطرفين حول القصر وداخل المسجد ، ولم يأت أحد على ذكرهم باسمائهم انشغالاً بما هو أهم .
- الثاني : أن كثيراً من أنصاره تم إلقاء القبض عليهم وحبسهم ، ولم يأت التاريخ على ذكرهم بأسمائهم لما تقدم .
- الثالث : أن غالب من كان مع مسلم تم تخذيلهم عنه وتفرقتهم من حوله بالدعاية الاعلامية وبالتهديد والوعيد .

فإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الأمور سيسهل علينا الإجابة عن السؤال المتقدم : أين كان أصحاب مسلم حين خروجه حتى بقي وحيداً لا يهتدي الطريق .

مصير زوجات مسلم بن عقيل وأولاده

تقدم معنا أن الإمام علي (ع) زوّج مسلم بن عقيل ابنته رقية، فولد منها عبدالله وعلياً.

وذكر المؤرخون أن له ولدين شهيدين في كربلاء هما عبدالله، وأمه رقية، ومحمد وأمه أم ولد. أما عبد الله فقد ذكره الاصبهاني في المقاتل، فقال:

وعبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام. وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب، وأمها أم ولد. قتله عمرو بن صبيح فيما ذكرناه عن علي بن محمد المدائني وعن حميد بن مسلم وذكر ان السهم أصابه وهو واضع يده على جبينه فأثبته في راحته وجبهته.[1]

١ـ الاصبهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص ٦٢. والقاضي نعمان المغربي، شرح الأخبار، ج٣، ص١٩٥.

وقال ابن شهرآشوب في المناقب في (باب في إمامة الحسين عليه السلام):

أول من برز من بني هاشم عبد اللّه بن مسلم وهو يقول:

اليوم ألقى مسلما وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي

ليسوا بقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب

من هاشم السادات أهل الحسب

فقاتل حتى قتل ثمانية وتسعين رجلا بثلاث حملات، ثم قتله عمرو بن صبيح

الصيداوي وأسد بن مالك.[1]

وعليه، وبغض النظر عن دقة عدد من قتلهم، يكون عبداللّه بن مسلم عند شهادته رجلاً كاملاً مقداماً ومحارباً شجاعاً.

وأما محمد فقد قُتل أيضاً في كربلاء، ذكره الأصبهاني ايضاً، قال:

ومحمد بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام، وأمه

١ـ ابن شهراشوب، مناقب آل ابي طالب، ج٣، ص ٢٥٤.

أم ولد . قتله فيما رويناه عن أبي جعفر محمد بن علي أبو مرهم (جرهم) الأزدي ولقيط بن إياس الجهني .[1]

ولكن الذهبي يرى أن ابني مسلم الشهيدين هما عبد اللّٰه وعبد الرحمن .[2]

وفي إقبال الاعمال أن الشهيد الثاني هو عبيد اللّٰه بن مسلم:

السلام على القتيل بن القتيل: عبد اللّٰه بن مسلم بن عقيل، ولعن اللّٰه قاتله عامر بن صعصعة . وقيل: أسد بن مالك . السلام على عبيد اللّٰه بن مسلم بن عقيل، ولعن اللّٰه قاتله وراميه عمرو بن صبيح الصيداوي .[3]

ومثله في مثير الاحزان، قال:

ثم رمى عمر بن صبيح عبيد اللّٰه بن مسلم بن عقيل بسهم، ثم طعنه أخرى في قلبه فقتله.[4]

ولعل المقصود «أبو عبيد اللّٰه»، فحصل التحريف . وهو ما

---

١. مقاتل الطالبيين، ص٦٢ .

٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٢٠ .

٣. ابن طاووس، اقبال الاعمال، ج٣، ص٧٦ .

٤. ابن نما مثير الاحزان، ص٥٠ .

اعتمده صاحب كتاب عقيل بن ابي طالب، حيث قال نقلاً عن الاقبال:

السّلام على جعفر بن عقيل وعبد الرّحمن بن عقيل، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وأبي عبيد الله بن مسلم بن عقيل .[1]

وهذا الاضطراب في تحديد اسم الشهيد الثاني من أبناء مسلم لا يدل على أكثر من أنه واحد ، لكنهم اختلفوا في اسمه، ربما لصغر سنه وعدم معروفيته من قبل الرواة ، فقد يكون محمدا أو عبد العزيز أو عبد الرحمن أو عبيد الله .

أما علي بن مسلم فلم يعرف كيف مات، ولم يذكروا له عقباً .

ومن المؤكد أن أولاده الثلاثة الباقين كانوا أطفالاً صغاراً ، ولم يشاركوا في القتال . ولا بد أنهم أخذوا أسرى مع قافلة السبايا الى الشام .

وما ذكره الشيخ الصدوق في أماليه من حكاية طويلة لولدين من أولاد مسلم وأنهما قتلا في الكوفة فلا يمكن الركون اليه بوجه، وذلك لأن الرواية ضعيفة السند ركيكة

١ـ الاحمدي الميانجي، كتاب عقيل بن ابي طالب، ص ٧٠ .

المضمون ومروية عن رجل مجهول من أهل الكوفة وليس عن المعصوم (ع) .[1]

ولا يشفع لها وجود مزار لولدي مسلم محمد وابراهيم في بعض نواحي المسيب، فالمزار بعيد عن كربلاء بما يزيد عن ٦٠ كلم وعن الكوفة أكثر من ذلك بكثير .

هذا فضلا عن أن محمدا قتل في كربلاء كما اسلفنا، ناهيك عن أن الرواية المذكورة تفترض أنه قُطع رأساهما وحُملا الى ابن زياد وألقيت جثتاهما في النهر . والأرجح أنه مزار مستحدث كغيره من كثير من المزارات .

وقد ذكر بعض المؤرخين له عقباً، ولكن لم يعرف عقبه من أي من أولاده . قال ابو حنيفة النعمان المغربي:

... ابو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي من أولاد مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام .[2]

ويحتمل قوياً أنه يريد أنه من نسل مسلم، اي من بناته .

وأما أولاده الإناث فقد ذُكر في بعض الكتب أن له بنتاً

١ـ أمالي الصدوق، المجلس التاسع عشر، ص١٤٢ ـ ١٤٨ .

٢ـ القاضي نعمان المغربي، شرح الأخبار، ج١، ص٤٦ .

اسمها حميدة كان عمرها حين مقتل والدها احدى عشر سنة، وأخرى اسمها عاتكة كان عمرها سبع سنوات .[1]

نعم، ذكر حميدة ابنُ عنبة في عمدة الطالب، قال:

(وأعقب) عبد اللّه بن محمد[2] من رجلين محمد، وأمه حميدة بنت مسلم بن عقيل، وأمها أم كلثوم بنت علي بن أبى طالب (ع) .[3]

فإن لم نقل أن رقية هي عينها أم كلثوم سيكون مسلم قد تزوج بالاختين رقية وأم كلثوم على التوالي إذ لا يجوز الجمع بيين الأختين .

١ـ راجع: الحائري، معالي السبطين، ج١، ص٢٦٦ .

٢ - يقصد عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، وهو ابن أخي مسلم بن عقيل وزوج ابنته حميدة . راجع أيضاً : ابن ماكولا ، إكمال الكمال ، ج٦ ، ص٢٣٥ .

٣ - ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ص ٣٢ .

الخاتمة

بعد هذا العرض المفصل لسيرة مسلم بن عقيل، وبعد مناقشة الروايات المشهورة المتناثرة في بطون كتب التاريخ الذي لا يخلو من عبث العابثين من أمويين وعباسيين وغيرهم ، يمكن الخروج بالنتيجة التالية:

مسلم بن عقيل رجل عظيم، من الرجال القلائل الذين سجل لهم التاريخ مواقف رائعة في نهضة الامام الحسين، ولأجل ذلك كان لا بد لأعدائه من الحط من قدره وتشويه صورته، توصلاً بذلك الى تشويه صورة نهضة الحسين عليه السلام الناصعة .

وبما أن القرائن والدواعي والنتائج كثيراً ما تفضح اصحابها عند التحقيق والتمحيص فقد خرجنا بنتيجة واضحة ومبهرة تقول:

إن كثيراً من الروايات المشهورة بين الناس لا اساس لها من

الصحة، ولا تنهض أمام النقد والمتابعة، فلا يمكن الركون إليها، خصوصاً مع وجود بدائل لا ترد عليها تلك الإشكالات ولا تخالفها القرائن.

ولا يخدعنا كثرة تكرارها على المنابر وفي كتب المسلمين وغيرهم، لأن الحقيقة لا تعرف مذهباً ولا ديناً، وإنما هي فوق الجميع.

إن مسلم بن عقيل جوهرة أضاءت نهضة الحسين، يشهد له بذلك الحسين نفسه، وتاريخه المضيء وكل القرائن التي أحاطت بتحركه في الكوفة. فطوبى له من بطل قل نظيره، وسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

الفهرس